قافلة الزيت

ربيع ثاني ١٣٨٧
يوليو ـ اغسطس ١٩٦٧



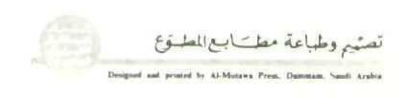
بســـــم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

مباهج الدعابة والمرح تنعكس على اسارير وجوه البراعم المتفتحة في دار الحنان في جدة .

تصوير : عبد اللطيف يوسف



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

مزيد من القراءة

طلب الى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في مقابلة صحفية أجريت معه مؤخرا أن يقدم نصيحة للكاتب الناشيء فقال : «قبل كل شيء يجب أن يقرأ كثيرا جدا وان يدرس اللغة العربية حتى يتمكن منها ، ثم يحاول الكتابة بعد ذلك ، أو نظم الشعر ، ان أحس بالقدرة على ذلك .»

وهذه ليست المرة الأولى التي يدعى فيها الكتاب الناشئون الى زيادة معرفتهم وتوسيع آفاقها عن طريق المطالعة والقراءة ، قبل أن يشرعوا أقلامهم ملتمسين الكتابة مهنة أو هواية . فقد تحدث في هذا المعنى الكثيرون من رجال الأدب والفكر في عالمنا العربي لما لمسوه من حاجة العديد من الكتاب الجدد الى المزيد من المطالعة والمعارف .

ومن الواضح طبعا أن رأي الدكتور طه حسين لا يعتبر نقد الحملة القلم من الكتاب الناشئين بقدر ما يعتبر توجيها أبويا دعـا اليه الحرص على مستقبل تراثنا العربي الذي سيكون شبان اليوم حملة ألويته في المستقبل .

والكتابة أكثر من فن وأسلوب يتقنهما الكاتب الموهوب عن طريق الدراسة والخبرة . وهي أكثر من موضوع انشاء يدبجه الفرد مستعملا الألفاظ المنمقة والزخرف البياني . والكتابة الجيدة لا تتوافر للكاتب بمجرد اتقانه قواعد الصرف والنحو كما لا تتكون لديه لمجرد رغبته في الكتابة وعزمه الأكيد على ذلك .

انها كل هذه العناصر مجتمعة في بوتقة من الفكر والمعرفة ... الموهبة تلعب ولا شك دورا كبيرا في اظهار براعة الكاتب أو الشاعر ومقدرته على التعبير ، هذه المقدرة التي تمكنه من شد القارىء الى السطور بقوة جاذبة فيها مهارة وحذق وعذوبة . ولكن مثل هذه الموهبة قد تخدع صاحبها أحيانا اذا اعتمد عليهـا اعتمادا كليا فتجعله يظن أن كل ما يكتبه جديـر بالقراءة والاهتمام . والكاتب المتمرس الناجح يدرك تمام الادراك أنه يخاطب قراء يفهمون ، قراء يطلبون فكرة جديدة وحقائق ودراسات ومعلومات الى جانب الجمال اللفظي والأسلوب الجذاب والبيان الرائع الخلاب . ولذلك تراه يسعى بشكل دائم الى القراءة والدراسة والاستزادة من المعرفة ليتسنى له أن يقوم بواجبـه التثقيفي الذي ينتظره منه قارئه .

ومن أهم النصائح التي يدلي بها كبار الكتاب في هذا المجال أن على الكاتب أن يحترم قارئه ويدرك مستوى ذكائه ويخاطبه مخاطبة معرفة واطلاع . ولا مندوحة للكاتب والحالة هذه من أن يعرف مستوى القارىء الذي يكتب من أجله معرفة تامة ، فينزل الى مستواه مبسطا شارحا واصفا اذا اقتضى الأمر ، أو يصعد الى ذلك المستوى دارسا متعمقا باذلا الوقت والجهد والمعاناة .

فالقارىء قد يقرأ ليتعلم . وقد تكون القراءة بالنسبة اليه مجرد تسلية وترفيه عن النفس . وفي كلتا الحالتين يفترض في الكاتب أن يقدم الى قارئه شيئا جديدا ومعرفة جديدة ، لأن القارىء لا يكتفي بقراءة شيء يعرفه كما أنه لا يستمتع بطرفة سمعها من قبل . انه دائما يبحث عن الفكرة الجديدة والرأي الطريف والجمال والابداع .

ولهذا كانت سعة الاطلاع من أهم ما يحتاجـه الكاتب الذي يريد أن يخط بقلمه سطور النجاح . عليه أولا أن يقبل على القراءة بنهم ليوسع آفاق معارفه ، وأن يترك هذه المعارف تتفاعل في نفسه فتتبلور ، ثم عليه أن يبذل قصارى جهده في معرفة قرائه واكتساب ثقتهم واحترامهم ومحبتهـم .

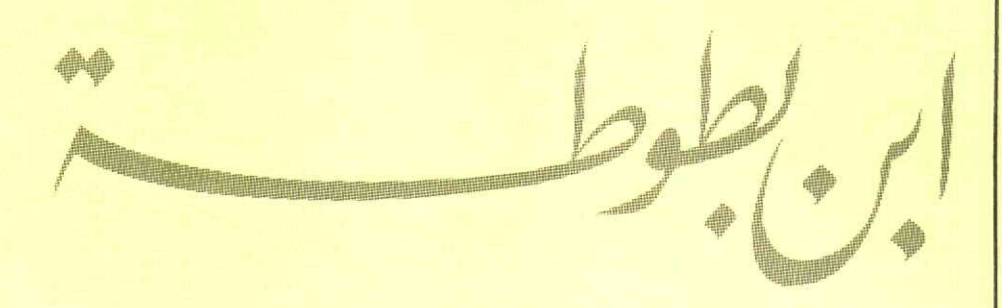
فؤاد الريس

قـافلة الزيـت — العدد الرابع — المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها : شفيق الدين عاشور

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية



بقلم الاستاذ محمود الشرقاوي

بين الشك والتوثيق

شكوك

منذ تحدّث ابن بطوطة في مسجد فاس . سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ م) . عن تلك العجائب التي شهدها أو سمعها في رحلته . والناس يعلنون أو يسرّون شكوكا تثور في نفوسهم نحو بعض ما قال أنه شهده أو سمعه . وخاصة أحاديثه العجيبة عن بلاد الهند . ومشاهداته التي سجّلها عن شرق أوربا .

وكان أول هؤلاء الشاكّين أو المشككّين وأعلاهم صوتا . الرحالة المؤرخ العظيم ابن خلدون . وكان . كما نعرف . معاصرا له . سمع عنه وعن بعض ما تحدث به من أنبـاء رحلاته . ثم كتب في مقدمته عنه وعن رحلاته يقول : « ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مريّن رجل من مشيخة طنجـة يعرف بابن بطوطة . كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق . وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند . ودخل مدينة «دهلي» حاضرة ملك الهند . وهو السلطان محمد شاه . وكان له منه مكان واستعمله في خطّة القضاء بمذهب المالكية في عمله . ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان . وكان يحدّث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض . وكان أكثر ما يحدث عن دولة صاحب الهند . ويأتي من أحواله بما يستغرب به السامعون : مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان . وفرض لهم رزق ستة أشهر تعطى لهم من عطائه . وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد . ويطوفون به . وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات . ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس الى أن يدخل ايوانه . وأمثال هذه الحكايات . فتناجى الناس بتكذيبه » .

نفهم من هذا أن هذه الشكوك التي أوردها ابن خلدون قامت في نفوس الناس عقب دخول رحالتنا فاس وعند بدء أحاديثه عن الرحلة في المسجد بأمر من السلطان أبي عنان . وهـذا التحديد التاريخي . قبل عشرين سنة . يكشف لنا عن حقيقتين مهمتين لا بد أن نذكرهما هنا : الحقيقة الأولى هي أن منافسي ابن بطوطة وكارهيه . والحاقدين عليه قد زاد كرههم له وحقدهـم وتأجّجت الغيرة في نفوسهم من تلك المكانة التي نالها عند السلطان حتى جعلته يطلب اليه . وهو في رحلته . لم ينته منها بعد . أن يجيء الى تونس حيث أكرمه السلطان وحفي به وخصص له المخصصات وأمره بالجلوس في المسجد ليحدث الناس بما شهد . ثم يأمر كاتب ديوانـه « ابن جزيّ » بأن يكتب ويسجل ما أملى الرحالة الشيخ . هذه المكانة التي تزيد من حقد الخصوم كفيلة بأن تجعل أصحابها يثيرون حول ابن بطوطة وأحاديثه زوبعة من الشك يستمع لها الناس أو بعض الناس . ونحن نعرف أن « الناس أعداء ما جهلوا » كما يقول المثل القديم ، كما نعرف أن « المعاصرة حجاب » كما قال المثل القديم أيضـا .

والحقيقة الثانية أن هذه الشكوك التي أثارها خصوم الرحالة ومنافسوه أثيرت وتناجى بهـا الناس أوّل سماعهم أنباء الرحلة . وكان غريبا على سمعهم أن يحدثهم متحدث عن هذه الأمور التي شهدها في بلاد بعيدة عجيبة . مثل بلاد الهند . أو بلاد الشمال من أوربا أو بلاد الصين . كما فعل ابن بطوطة .

لكنّ هذه الأحاديث الغريبة والأنبـاء العجيبة جديدة على أسماعهم . ولكل جديد مفاجأة . وكان ذلك معينا للخصوم على أن يسمع الناس لهم وأن يتقبلّوا هذه الشكوك التي أثاروها .

وملاحظة أخرى نذكرها عند هذه الكلمة التي كتبها ابن خلدون عن الشك في بعض ما روى ابن بطوطة . هي أنه يقول في ختامها : (فتناجى الناس بتكذيبه) فهو ينسب التكذيب الى «الناس» ويكاد يخرج نفسه من الاشتراك في هذا «التناجي» بالتكذيب .

وعندما نذكر ابن خلدون وأسلوبه الذكي في الكتابة ، لا يصعب علينا الاعتقاد بأنـــه فعل ذلك عن قصد وادراك ورويّة . على أن ابن خلدون يخرج من هذه اللباقة وهذا التلميح والتنصّل الى وضع آخر يوشك أن يكون تكذيبا للمكذبين ، وردا لهذه الشكوك وتصديقا لمــا يقصّ ويروي رحالتنا فهو يقول — بعد كلامه عن تكذيب الناس لابن بطوطة — : « .. ولقيت أنا يومئذ في بعض الأيام وزير السلطان .. ففاوضته في هذا الشأن . وأريته انكار أخبار ذلك الرجل لمّا استفاض الناس في تكذيبه ، فقال الوزير : .. اياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول . بما أنك لم تره . فتكون كابن الوزير الناشيء في السجن . وذلك أن وزيرا اعتقله . فمكث في السجن سنين ربّى فيها ابنه في ذلك الحبس . فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها . فاذا قال له أبوه : هذا لحم الغنم . يقول : وما الغنم ..؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها . فيقول : يا أبت تراها مثل الفأر ..؟ فينكر عليه ويقول : أين الغنم من الفأر ..؟ وكذا في لحم البقر والابل . إذ لم يعاين في محبسه الا الفأر . فيحسبها كلها أبناء جنس للفــأر .

ونلاحظ في هذه الفقرة أن ابن خلدون . بعد أن قال في سابقتها « تناجى الناس » قال هنا « أستفاض »

ننتقل بعد ذلك الى مشكك آخر في بعض ما روى ابن بطوطة . وهذا المشكك الآخر كان من أقـــرب الناس الى رحالتنا في شأن هذه الرحلة وهذه الفترة الأخيرة من حياتـــه . وهو ابن جزي . كاتب الرحلة ومسجلها . فهو عند بدء تسجيله يذكر صيغا وتعابير تثير الشك في بعض هـذا الذي يسمع من أحاديث .

يقول ابن جزي في مقدمة الرحلة : « .. ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظه موفيّة للمقاصد التي قصدها ، موضّحة للمناحي التي اعمدها . وربما أوردت لفظة على وضعه فلم أخلّ بأصله ولا فرعـــه . وأوردت جميع مــا أورده من الحكايــات ، والأخبـــار ، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار » .

وبعد هذا الكلام الذي يذكر فيه ابن جزي دقّته في الرواية والتسجيل . والى جانبه هـــذا الظل من الشك . بعد ذلك يقول : وكأنه يتلمس العذر لابن بطوطة في هذه الغرائب التي تحدث بها ، (على أنه سلك في اسناد صحاحها أقوم المسالك . وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك) . أي أن ما تصدقه النفس قد رواه ابن بطوطة وسلك في روايته أقوم الطرق وما يثير الشك تحدث به ابن بطوطة على طريقة « والعهدة على الراوي .. » هذا هو تصوير ابن جزّي للمسألة وقد يكون صحيحا . وربما يكون قد سمعه منه أو فهمه .

ذلك بثلاثة قرون نجد هذا الشك مرة أخرى في تلخيص البيلوني للرحلة ، فهو يقول في مقدمته : « .. وانما انتقيت ما كان غريبا غير مشهور (١) . أو مشهور النقل لكن ربما لا يعتمد عليه لغرابته وتسامح المؤرخين في النقل فأثبته لكون صاحب الرسالة أثبته » . ثم يقول في شيء أكثر من الصراحة والحزم : « وبعض ما نقله قد يخالف ما ذكره غيره . كما في وصف بعض ما شاهده من عقاقير الهند فان بعضه مخالف لما ذكره الأطباء في وصفها . والظّن بالشيخ الصدق » .

ولم يلق ابن بطوطة هذا الشك في حديثه من سامعيه في فاس وحدها . كما رأينا في حديث ابن خلدون وابن جزي . بل نجده يلقى مثل هذا الشك عند أهل الأندلس أيضا ، حين زارها في رحلته الثانية وتحدّث الى أهلها أحاديث ما شاهد في بلاد الشرق البعيد .

فقد لقي ابن بطوطة فيمن ذكر أنه لقيهم من أعلام الأندلس الشيخ أبا القاسم بن عاصم ، وقد تحدث أبو القاسم هذا عن ابن بطوطة حديثا نقله عن شيخه أبي البركات فقال : « هـــذا — أي ابن بطوطة — رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب ، رحل من بلاده « ... ويذكر أبو القاسم طريق رحلة ابن بطوطة ثم يقول : « .. ثم قفل الى بلاد المغرب ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أموال المشرق وما استفاد من أهله فكذّب » .

على أن ما أفاده الرحالة من أموال وهدايا أكرمه بها من زارهم من ملوك الشرق وسلاطينه ورجاله . هو ، على ما نعرف من حديثه عنها في الرحلة . قد يثير العجب ويبعث على الدهشة ، وقد يصل الأمر الى الشك والانكار . وقد نقل ابن الخطيب في كتابه « الاحاطة في أخبار غرناطة » ما كتبه شيخه أبو البركات في التعريف بابن بطوطة . ثم قال : « وأحاديثه أي — ابن بطوطة — في الغرابة أبعد غورا من هذا » . ولكننا نستطيع أن نقول أن غرابة الحديث لا تقتضي تكذيبه .

نجد ابن حجر يقول ان الشيخ ابن مرزوق لم يوافق أبا البركات على تكذيب ابن بطوطة . يقول ابن حجر : « وكان البلفيقي . أبو البركات ابن الحاج ، رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق » . ولكن المسألة التي تثير حيرة الباحث هي حديث ابن بطوطة عن ابن تيمية . فابن بطوطة يقول انه دخل دمشق في اليوم التاسع من رمضان سنة ٧٢٦ هـ . ويذكر أنه حضر صلاة الجمعة في مسجدها . فحضر ابن تيمية — أي شاهده وسمعه — وهو يعظ الناس على المنبر . شهد ابن بطوطة هذا كله وسمعه وتحدث بـه وسجله ابن جزي في الرحلة . ولكن ثقات المؤرخين يذكرون أن ابن تيمية دخل السجن في قلعة دمشق بعد عصر يوم الاثنين السادس من شعبان في تلك السنة . أي قبل دخول ابن بطوطة دمشق بنحو شهر فكيف شاهده وسمع وعظه وحديثه ...؟ ونحن لا نريد أن نتهم ابن بطوطة بالكذب بسبب ذلك ، بل نعتقد أن كتابة الرحلة قد وقع فيها من الخلط والخطأ ما انتهى بنا الى هذه الحيرة .

وينتهي ما نعلم من الشكوك في رحلة ابن بطوطة الى هذا القرن العشرين ، حيث نجد في : « مهذّب الرحلة » الذي وضعه لوزارة المعارف العمومية المصرية سنة ١٩٣٣ الأستاذان أحمد العوامري . ومحمد أحمد جاد المولى .... حيث نجد في مقدمتهما لهذا المهذب أنهما وصفا بعض ما رواه ابن بطوطة بأنه : « من الخرافة والسخف بمكان » ، وهما صادقان في ذلك من غير شك . ولو لم يذكرا تحديدا ولا تمثيلا لهذا الذي وصفاه بأنه من الخرافة والسخف بمكان .

وشك المرتابين في عصرنا الحاضر يقع أكثر ما يقع فيما تحدث به ابن بطوطة عن زيارته لما بعد بلاد البلغار والصين وتلك البلاد التي سماها « بلاد طوالسي » .

(١) ص —١— من مخطوطة مكتبة الأزهر رقم : ٤٠٦٣ وهي مخطوطة لم تطبع .

فالمستشرق الروسي الكبير « كراتشكوفسكي » يقول (٢) : « مما لا شك فيه أن وصف ابن بطوطة لأرض الظلمات الواقعة خلف أراضي بلغار الفولجا انما يرجع فيه الى فكرة غير موثوق بها ، أو الى مصدر أدبي أساء فهم روايته » . ويقول عن زيارته لبلاد طوالسي : « ان وصفه لهذه البلاد الواقعة في مكان ما من « كوشين صين » يضمّ أساطير سمعها عن بلاد أخرى حتى اختلط الوصف لديه اختلاطا كليا » .

وتعليق الأستاذ كراتشكوفسكي هذا ، كما هو واضح ، لا يعني الشك في زيارته ، أو وصفه لها ، بل كل ما يعنيه أنه خلط مشاهداته في تلك البلاد ببعض أساطير سمعها عن بلاد أخـــرى .

والدكتور حسين فوزي في كتابه « حديث السندباد القديم » يرى أن أحاديث ابن بطوطة عن بلاد طوالسي : « دعت كثيرا من النقاد الى التشكك في سفره الى بـــلاد الصين » وكذلك يقول : « هذا اذا صدّقنا أن رحالة طنجـــة سافر الى ما وراء الكنج وذهب الى الصين ، وهو جزء من رحلتـــه يثـــير شكوك الباحثين » .

ونجد الدكتور شوقي ضيف أكثر صراحة في تجريح ابن بطوطة ونسبته الى الكذب ، فهو يرى أن ما ذكره من قدرة السحرة في الهنـــد والصين على الأعمال العجيبة ، خرافة ، وكذلك يرى ما ذكره ابن بطوطة عن « قدم آدم » ومشاهدته لها في جزيرة سيلان ، ثم يقول ان ابن بطوطة أودع رحلته من الخرافات ما يدل على مبالغاته الكثيرة ، وأن الواقع عنده « ضرب من الخيال » .

ويقف الدكتور زكي محمد حسن الـــى جانب الموثقّين لابن بطوطة المدافعين عنه ، وكذلك يفعل الدكتور نقولا زيادة فلا يميل الى جانب الشك والتكذيب .

أخطاء

ومن الأخطاء التي وقع فيها ابن بطوطة أنه ، في حديثه عن مدينة « بيروت » ذكر زيارته قبر أبي يعقوب يوسف ، الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب . والقوم هناك ينسجون قصة مزعومة حول فراره مع الملك ، وهذا الذي تنسج حوله هذه القصة ليس اسمه « ابا يعقوب يوسف » بل « أبا يوسف يعقوب » ولعل هذا من خطأ الكاتب أو الناسخ .

يقول الأستاذ عبد الله كنون الذي سجل هذا الخطأ ، وهكذا صدق وأنصف ، فما أيسر أن يخلط الكاتب ، أو ابن بطوطة نفسه ، بين أبي يعقوب يوسف وأبي يوسف يعقوب ، ولكن وجود الرجل وحدوث القصة وسماع الرحالة لها ، كل هذا صحيح .

وكذلك سجّل عليه الأستاذ عبد الله كنون أنه سمى النهر الذي تقع عليه مدينة « حلب » نهر « العاصي » وهو نهر « القويق » .

وقد خلط ابن بطوطة بين بحيرة « البرلّس » فوصفها وصفا ينطبق على بحيرة تنيس (المنزلة) في شمال دلتا مصر ، كما يقول العارفون بهذه المنطقة . وسنعرف من حديثه عن السودان أنه حين شاهد نهر النيجر ظنّه النيل فأملى ذلك وكتبه ابن جزي ، وقد بقي هذا الخطأ متداولا حتى صححته الكشوف الجغرافية الحديثة .

ونحن نرى أنه من الجحود ونكران الجميل — كما أنه من الخطأ العلمي أيضا — أن نصم ابن بطوطة بالكذب بسبب هذه الشكوك والأخطاء . فقد ظل هذا الرجل يرحل ويرحل ، ويطوّف بالأرض قريبا من ثلاثين سنة — في رحلاته الثلاث — ثـــم فقد في بلاد الهند جميع أمواله ومتاعه « وأوراقه » كما يقول ، ولا نعتقد أنه كاذب ، فلما استدعاه السلطان أبو عنان الى فاس ليملي أخبار رحلاته تلك ، كان يمليها من ذاكرته وحفظـــه .

اذا وضعنا ذلك في الاعتبار كان كافيا جدا في الشفاعة له عن تلك الأخطاء وعن هذا الخلط . ويزكي رحالتنا ويوثّق روايته أن العارفين برحلة الرحالة البندقي « ماركو بولو » الى الصين يجدون حديث ابن بطوطة عنها مطابقا لحديثه . وقد زار الرحالة البندقي بلاد الصين قبل ابن بطوطة بسنين قليلة ، وأقام فيها سبع عشرة سنة ، وابن بطوطة وابن جزي لم يقرأ أي منهما رحلته ولم يعرف لغته حتى يتأثر به أو ينقل عنه أو يقتبس منه . ورحلة ابن بطوطة الى الصين وحديثه عنها هو الذي يثير أقوى الشكوك ، كما رأينا ، وهذا توثيقه فيها ، فكيف برحلاته الى غيرها وأحاديثه ..؟

رحم الله ابن بطوطة وابن جزي ، ورحم السلطان العالم اليقظ أبا عنان ، الذي حفظ لنا هذا الكنز العظيم من تراثنا العربي وتراث العالم كله . والثقات من العلماء ومن المؤرخين يشهدون لابن بطوطة بالصدق والأمانة والتوثيق .

فالأستاذ « كراتشكوفسكي » يقول أنـــه « لا يستغني عن الرجوع اليه أي باحث يود الخوض في تاريخ الأورد الذهبي (يقصد الهند) وآسيا الوسطى ، والذي — رغما من هذا — تقف رواياته عن الصين والهند في مستوى واحد مع « أسفار السندباد » « وعجائب الهند » .

ويصفه « كراتشكوفسكي » بأنه كان آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية ، وقد قطع في رحلاته ٧٥ ألف ميل ، فهو بهذا يعدّ منافسا خطيرا لمعاصره الرحالة الأشهر ماركو بولو ، وأنه أي ابن بطوطة ، كان « لديه احساس ذاتي بظروف حضارة العالم الذي يصفه أكثر مما كان لدى زميله ومعاصره » .

وكذلك يقول : « كلما تعرضت الأجزاء المختلفة من وصف رحلته لدراسة دقيقة مفصلة كلما زادت الثقة في صدق روايته » .

ويقول عن رحلته الى السودان أن وصفه لها : « لا يفضله شيء الى عهد الرحلات الأوروبية في القرن التاسع عشر » . ويصفه المستشرق الايطالي الكبير « دوزي » بأنه « الصادق الأمين » .

وزميله الرحالة الألماني « سيتزن » يكتب عنه فيقول (٣) : « أي سائح أوربي يمكنه أن يفتخر بأنه قضى من الزمان ما قضاه ابن بطوطة في البحث لكشف المجهول من أحوال هذا العدد الكثير من البلدان السحيقة ، وتحمّل من مشاق الأسفار ما تحمله بصبر وثبات وشجاعة ، بل أي أمة أوربية كان يمكنها منذ خمسة قرون أن تجد من أبنائها من يجوب البلاد الأجنبية ، وفيه من الاستقلال بالحكم والمقدرة على الملاحظة والدقة في الكتابة ما لهذا الرحالة العظيم .. ان ما جاء به من المعلومات الصحيحة عن جهات افريقيا المجهولة لا يقل في فائدته عن معلومات « لاون » ، « ليون » الافريقي . أما جغرافية بلاد العرب وبخارى وكابل وقندهار فقد استفادت من الرحلة كثيرا ، وفيما كتبه عن الهند وجزيرة سرنديب من المعلومات المفيدة ما يدعو انجليز الهند الى قراءته فان فيه ما يفيدهم » .

(٢) في كتابه «تاريخ الأدب العربي الجغرافي» ترجمة الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم . (٣) من كتاب «ابن بطوطة الرحالة وكيف صور المجتمع الاسلامي في عصره» للأستاذ حسن عبد السميع محسن .

من ميزات لغة الضاد

بقلم الاستاذ احمد عبد الرحيم السايح

اللغة العربية أعرق اللغات العالمية منبتا ، وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة ، وأبلغها عبارة ، وأغزرها مادة ، وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول في النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب .

نزل القرآن الكريم بلسانها فجعلها أكثر رسوخا ، وأشد بنيانا ، وأقوى استقرارا . وبفضل القرآن صارت أبعد اللغات مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم لدى الانسانية . واستطاعت في ظل الاسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصعد أرقى اختلاجات النفس .

فهي واسعة الصدر لكل معنى من المعاني ، ولكل فكر . ولا تعجز عن استيعاب أية نظرية من النظريات وتصويرها بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا ، حي المقاطع ، بارز القسمات ، واضح السمات ، هذا ان اتسع صدر الكاتب أو الباحث الى التنقيب عن بغيته . هذه اللغة التي نتحدث عنها فتحت صدرها للتراث الانسانية الخالد ، ومعارف البشرية المختلفة ، كما اتسعت لمقومات الأمة الاسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت .

برزت في أواسط القرن السادس الميلادي بغتة بالغة أشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة ولا نموا ، فانطلقت من شبه الجزيرة تنتقل الى الأمصار القصية مفرداتها وأصواتها ، حتى ملأت الأفق ، في حين اندثرت فيه جميع أخواتها السامية من آرامية وكنعانية وكلدانية وسريانية وأشورية وعبرانية قديمة وغيرها . وبقيت العربية قوية على رغم ما مر بها من عصور الركود والجمود ، وما فتئت تفيض جاذبية وحيوية وحياة وتجددا .

انها الحصن المنيع الذي يحتمي فيه أبناء العروبة من طغيان العامية ، والرابطة النفسية العالية التي تجمع بين أهل البلاد العربية ، والصيغة الجميلة النابضة بالاحساس التي نودعها مكنونات العقول والقلوب ، جيلا بعد جيل . هذه اللغة وسعت مبادىء ومثلا سماوية ، لم تضق بها ، ولم تنكل عن احتمال أعبائها ، بل في ظل الاسلام مرنت وتفاعلت ونمت نمائها الطبيعي المتطور من داخلها . وهضمت كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى اتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها ، وطوت في دورانها القوى كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها ، وقضت على ما يعرقل انطلاقها . فخرجت من كل جولة جالتها مع غيرها بغذاء مفيد ، ودماء جديدة ، وقدرة فائقة ، وطاقة أخاذة .

قال الدكتور شوقي ضيف :

« أخذت هذه اللغة تفرض سلطانها في بيئات جديدة متفرقة في أقطاب الأرض ، ولم تمض حقب طويلة ، حتى غدت لغة الشعوب من أواسط آسيا ، الى جبال البرنس في شمال اسبانيا ، ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات أن تثبت لها ، أو تحول بينها وبين سيادتها . وقد يكون من أسباب ذلك أنها كانت لغة القرآن الكريم .

ومهما تكن الأسباب ، فانها أصبحت لغة قومية لأمم وشعوب قد تختلف وتتباين في أجناسها ، وأصل نشأتها ، ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها ، فهي جميعا تنضوي تحت لوائها ، وتتلقن لسانها ، وتعب من قرآنها وشعرها وبيانها ، ولا تلبث أن تعيش لها وبها . وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي ، تتوهج جذوتها ، وترسل ضوءها ، الى كل مكان . حتى في أمريكا فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية ، اقباسا لا تزال تضيء في مجلاتهم وآثارهم الأدبية » .

نعم ، هذه اللغة تطورت أطوارا كثيرة وذلك بحكم ما التقت به من ثقافات ، وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات اليونان والهند والفرس ومصر واسبانيا اللاتينية فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير . ويقول الدكتور شوقي : « وكأنما أصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته ، بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود » .

وقال الدكتور عبد الوهاب عزام عنها :

« أنضجها الزمان المتطاول في البقاع الشاسعة من الجزيرة العربية وأخرجتها الفطرة السليمة ، والاحساس المرهف ، والادراك النافذ . لغة كاملة عجيبة تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة ، وتمثل كلماتها خطرات النفوس . تكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ ، وتتمثل في نبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ، ونبضات القلوب ، ونبرات الحياة . فالمعاني المعقولة والمحسة مبينة في ألفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الأشياء المتشابهة فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهه » .

وهكذا امتازت اللغة العربية وبزت غيرها واستبانت خصائصها حتى نفت عن نفسها كل كلمة أجنبية ، ما لم تخضع لأوزانها وقوانينها ، وعندها للأفعال أوزان وللأسماء أوزان ، فما لا تزنه هذه فهو أجنبي عن العربية وبهذا بقيت على الدهر المتطاول نقية خالصة .

قال الكاتب الفرنسي (أرنست رينان) : « ان من أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب حل سره ، انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدأت فجأة في غاية الكمال سلسة أي سلاسة ، غنية أي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا أي تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول أمرها مستحكمة . تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها» .

ويقول الدكتور المستشرق (عبد الكريم جرمانوس) « ان اللغة العربية سند مهم أبقى على روعتها وخلودها الاسلام فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة والعصور المتباينة ، واللهجات المختلفة » .

ويقول : رانكة الفيلسوف الألماني : « ان الثقافة الانسانية تعتمد على لغتين كلاسيكيتين هما العربية واللاتينية ، وبينما اشتقت اللغات الغربية من اللاتينية فقد نفثت اللغة العربية في الشرق روحا فنية . ولا يمكن فهم المصنفات الأدبية الفارسية أو التركية بدون العودة الى الكلمات العربية » .

وقال المستشرق ادوارد فان ديك : « ان اللغة العربية من أكثر لغات الأرض امتيازا . وهذا الامتياز من وجهين ، الأول من حيث ثروة معجمها ، والثاني من حيث استيعاب آدابها » .

وهذه شهادة للمستشرق بركلمان يقول فيها : « بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي احل لهم أن يستعملوه في صلواتهم وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة ، فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى » .

اغناطيوس « وأول ما نلحظه من أول نظرة نلقيها على هذه اللغة – أي العربية – الغنى العظيم من الكلمات ، والاتقان في الشكل ، والليونة في التركيب » . « ان لغة الشعر تكشف عن اتقان عظيم هو بالطبع دليل على تطور طويل . ويتجلى نضجها أوضح ما يتجلى اذا قورنت بنثر القرآن المسجوع ، وقد تجلت كل قوة اللغة الشعرية في أنها لا تزال في الشعر حتى أيامنا هذه كما هي بكل حجمها تقريبا . كما أن اتقان العروض يثير فينـــا دهشة لا تقل عن تلك التي يثيرها اتقان اللغة ، فاللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي أنجبت عروضا مستقلا » .

هــذا وغــيره هو مجمل آراء فريق مــن العلماء والمستشرقين والكتاب الذين يبتغون من بحوثهـــم ومقالاتهم مرضاة العلم في ذاته ، ويقصدون بيان الحقائق التي لا سبيل الى انكارها أو الهروب منها فلا ينحرفون الا حين تقتادهم السطحية ، أو الجهل .

وللعربية خصائص تميزها عن سواها ، وتدل على مبلغ عقول أصحابها من الرقي والتقدم . فيستطيع المرء أن يصنع من مفرداتها المأنوسة قطعا سحرية ، تأخذ بالافهام وتنبــه العقول وتشحـذ الهمم . وعناية العربية بالألفاظ وجمالها ، جاءت اهتماما منها بالمعنى حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو ، الذي يهيىء له الحالة النفسية ، التي تحفزه الى اليقظة والعمل . وفي الوقت نفسه تعين الذهـــن الانساني أن يسلك الطريق الطبيعي من تحصيـــل المعرفة . قال الكاتب جرجي زيدان . « ان الكثير من ألفاظ العربية قد فقد الدلالة الحسية . فالفعـل «قضى» معناه «حكم» والأصل فيه القطع الحسي والفعل «عقل» معناه «فهم» وهو مأخوذ من عقل الناقة ، أي ربطها » .

وقال الثعالبي : « في العربية صيغ وأبنية وقوالب دالة على معان وصفات وأحوال . فصيغة «فعلان» تدل في الأغلب على الحركة والاضطراب : كالنزوان ، والغليان ، والجيشان ، والهيجان ، ووزن « فعلان » يدل على صفات من أحوال كالعطشان ، والشبعان ، والريان ، والغضبان ، وصيغة «فعال» تدل على الأدواء كالصراع والزكام والسعال والخناق . » وقال أيضا : « وصيغ الأفعال وأوزانها في العربية عامل من عوامل ثروة اللغة ، وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف الى المعنى الأصلي ، دون زيادة في اللفظ ، ومع احتفاظ بطابع التركيز الذي تميزت به لغـــة القرآن » .

وكذلك الاشتقاق والتصريف يؤديان في اللغـــة العربية دورا هاما ، لا يستهان به في تنويع المعنى الأصلي ، اذ يكسبه خواص مختلفة بين مبالغـــة ومشاركة ومطاوعة ومبادلة وتعدية .

وفي باب اصطلاح اللفظ من الخصائص قال ابن جني : « فان العرب انما تحلي ألفاظها وتدبجهـــا وتوشيها وتزخرفها ، عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ... » .

ويخيل الي أن اللغة العربية بهذه الفلسفة التي تعنى بجمال الألفاظ لتصل بالناطقين بها الى المعنى وهم أكثر استعدادا لقبوله ، وانها بهذا تدفع بـهم إلى أن يسيروا على فلسفتها في الحياة من حيث الرونق والجمال وسلامة الصدر والاخلاص .

ومن خصائص العربية التي تعبر عن قوتها وتوثبها الى العلا والسمو ، الحركية . وكأن اللغة العربيـــة بهذه الحركية تدفع بأبنائها الى المجد دفعا وتغرس فيهم حب العمل والنشاط .

قال الدكتور عثمان أمين : « أما عن الحركيـة فاللغات الغربية لا ترى مانعا من البدء بالحروف الساكنة . فاسم أفلاطون في جميع تلك اللغات مبدوء بحرفين ساكنين ، أما في اللغة العربية فقد امتنع النطق بالحرف الساكن في أول الكلمة ، ولذلك أضاف العرب ألفا أو همزة الى حروف اسم افلاطون كيما يتيسر النطق به تمشيا مع فلسفة اللغة العربية التي تمنع الناطق بها من النطق بالحروف الساكنة في أول الكلام ، لأن تلك الفلسفة تفترض أن كل قول إذا كان قولا جادا ، ينبغي أن يكون بمنزلة الفعل ، أو أن يهيىء قائله أو سامعه للفعل المرتقب ، والفعـل يقتضي الحركة ويستلزم الخفوف . وأي قول لا يكون فيه حركية أو تهيؤ للفعل فهو عبث أو لهو وفلسفة العربية تريد أن تنزه أهلها عن لغو الكلام » .

الحركية في اللغة العربية تنبعث الحياة .

والحياة فيها حياة خلاقة مبدعة ذات عبقرية خاصة ، وهي لا تكتفي بمسايرة التطورات المستحدثة كما تفعل بقية اللغات بل يجد المتذوق لها ، والباحث المنصف الذي لا تقتاده السطحية ، قد يجد حركة بشرية في تفاعلها ، فكأنها كائن حي يذهب ويجيء ، وتموج فيه العواطف والأحاسيس . وكلما العربية جميعها تنعم بهذه الحياة والحركية ، في الحين الذي تجد فيه الكلمات في سائر اللغات الأخرى أدوات جامدة لا يعرف فيها شيء من الحياة ، الا بعد عبارة .
أن تجتمـــع طائفـــة منها الى بعضها وتؤلف

أنظر الى الكلمات العربية ذات الأصول الثابتة ، تجد أن المعاني التي تتفرع منها متقاربة فالنون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف معاني البروز والنبو . مثل : نبت : برز من الأرض ، نبط : أخرج ماء البئر ، نبع : خرج ماء العين ، نبـع : خرج وظهر . والعربية لا تكتفي في عبقريتها بهذا بل تجد أنها تتساهل أشمل ما يكون التساهل ، حيال من يتكلمها ، كما يفعل الرجل الشهم الكريم ازاء صاحبه تماما . فكلمة «غضروف» مثلا اجتماع الغين والضاد فيها يثقل أحيانا على اللفظ وتناسق الحروف في الكلمة يجعلها سريعة الانفصال عن أخواتها في العبارة وفي السرعة ، فماذا تفعل العربية لتلافي هذا الأمـــر ؟

انها تتساهل معك وتقول لك إذا لم تستطع أن تلفظ كلمة (غضروف) فقل : (غرضوف) فانهـا هي نفسها .

يقول عباس محمود العقاد :

« فاللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية . فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم مـــن كلماتهم وألفاظهم ، كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز » .

ومن خصائص العربية : الاعراب ونعني بالاعراب : تغيير أواخر الكلم بتغيير العوامل عليها بالرفع والجر والنصب والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الآن ، ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية وابنتها الحبشية واللغة الألمانية .

والاعراب : هو الابانة عن المعاني بالألفاظ ، ولفظة اعراب مصدر من أعربت عن الشيء اذا أوضحت عنه يقال فلان معرب عن ما في نفسه ، أي مبين له ، وموضح عنه . والاعراب دعوة الى الترابط والتآلف واعطاء كل ذي حق حقه دون ما لبس أو ابهام . قال ابن جني : « ألا ترى أنك اذا سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه ، علمت ، برفـــع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من المفعول . ولو كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه » .

لا تستطاع التفرقة بين النفي والتعجب والاستفهام الا بالاعراب لأن الصيغة فيها واحدة . كانت بنت أبي الأسود الدؤلي تشاهد السماء وتعجب لمنظرها فقالت : ما أحسنُ السماءُ ، فقال أبوها نجومها . فقالت ما عن هذا أسأل ، وانما أنا أعجب . فقال لها اذن قولي : ما أحسنَ السماءَ وافتحي فاك . الاعراب اذن مطلب العقل في اللغة ولذلك نرى أن الإعراب من أرقى ما وصلت اليه اللغات من الابانة والوضوح .

وكثير من علماء الاستشراق والمحدثين والمعاصرين نوهوا بهذه الخصيصة العربية ، فقال العلامة (بركلمان) عند حديثه عن لغة الشعر العربي : « لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بثروة عظيمة من الصور النحوية ، وبلغت من حيث دقة التعبير عن علامات الاعراب والنحو ، ذروة التطور في اللغات السامية ، ومعجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم آخر في ثرائه انه نهر تقوم على ارفاده منابع اللهجات الخاصة التي تنطق بها القبائل العربية » .

وقال البحاثة (لوي ماسنيون) : « في حين أن اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد أن تشيد بناء ضخما من الاعراب .. يضع أمام الأبصار مشهدا ذا روعة واصالة » . واذا كانت العربية عنيت بالاعراب توضيحا للمخاطب والسامع وراحة للمتكلم ، فحرصا منها على وقت السامع والمتكلم توخت التركيز في المعنى وخير الكلام ما قل ودل .

مساجد العراق

بقلم الاستاذ محمد رفعت المحامي

مسجد « الحيدر خانه » في بغداد حيث تبدو قبته المرصعة بالفسيفساء .

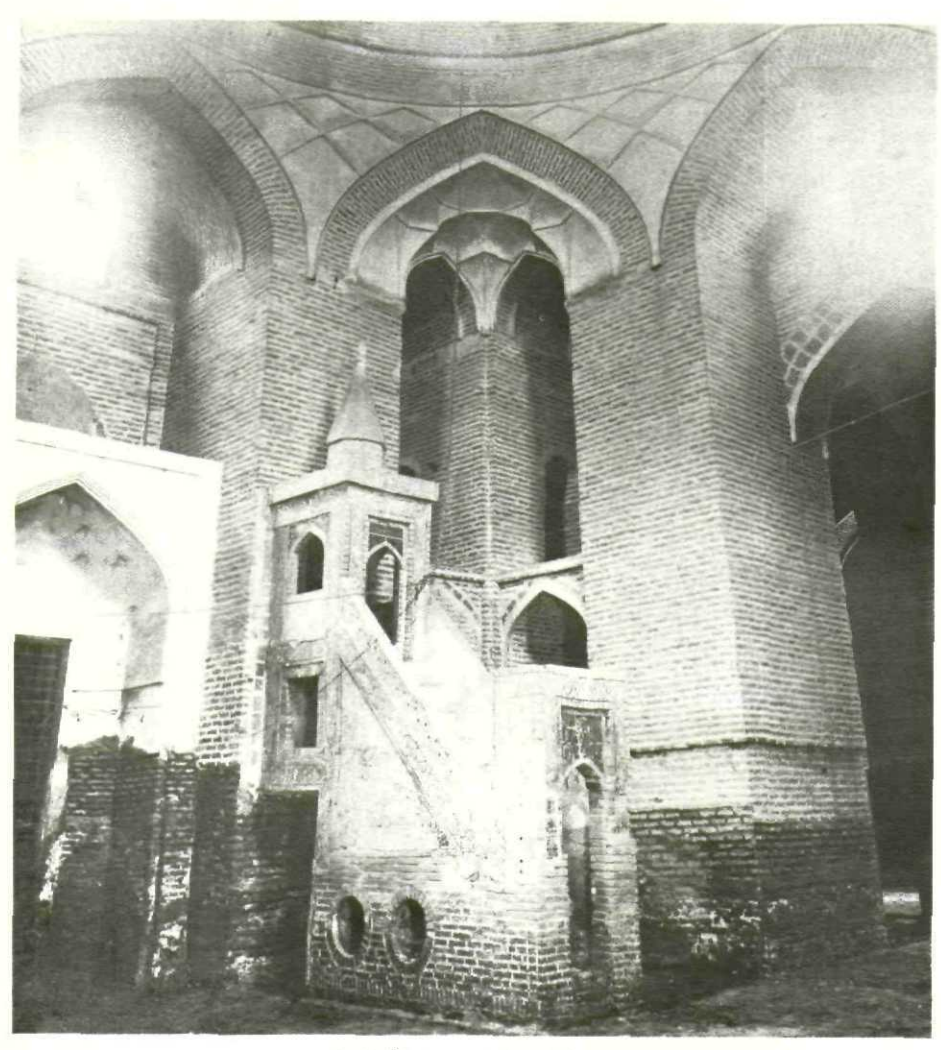
طيب علي أن أبدأ جولتي بين مساجد العراق بمساجد بغداد التي تقع في الغالب على شاطىء نهر دجلة . ويعد « جامع الوزير » من أكبر هذه المساجد وأقدمها ، وقد بناه « المستنصر بالله » الخليفة العباسي ، ويسمونه « المسجد ذا المنارة » ، وأسكن فيه جماعة من الصوفية ، وكان ذلك في سنة ٦٢٦ هجرية . ثم عدت عوادي الدهر على المسجد فأصبح أنقاضا الى أن ولي حكم بغداد من قبل سلطان تركيا « الوزير حسن باشا » ، فأقام مسجدا جديدا على أنقاض المسجد القديم ، كما يتبين من الكتابة المنقوشة على باب المصلى ونصها :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . عمر هذا المسجد في أيام خلافة خليفة الرحمن السلطان ابن السلطان محمد خان أبن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه ، صاحب البناء والانشاء الغازي الوزير حسن باشا ابن الوزير الأعظم المرحوم محمد باشا سنة ثمان وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية » .

ولانشاء الوزير (الذي ينسب الجامع اليه) لهذا الجامع حكاية .. فقد عمره من أموال التجار ، لا من جيبه ولا من بيت المال ، اذ كانت السفن تأتي مجتمعة دفعة واحدة وفي أوقات معينة من الهند الى البصرة مشحونة بالبضائع وتحت حراسة شديدة خوف غارة قراصنة البحر عليها . وفي ذات مرة نهب القراصنة هذه السفن فساق الوزير اليهم جنوده فقاتلوهم ، واستردوا البضائع المنهوبة ، وجيء بهذه البضائع الى بغداد مبعثرة ومختلطة بحيث تعذر على أصحابها من التجار أن يعينوا ما يخص كل واحد منهم منها . ولما أعوزهم الحل اقترحوا على الوزير أن يبيع البضائع ويعمر بثمنها مسجدا ، ففعل . وألحقت بالمسجد مدرسة عاشت حتى العشرينيات من هذا القرن . ثم أصيب المسجد بالخراب وأقفلت المدرسة حتى سنة ١٩٥٧ .

وفي حفل افتتاح مسجد جديد بالكرخ ، أحد أحياء بغداد ، كان يحضره مدير الأوقاف ، انبرى الشاعر العراقي خضر الطائي يخاطب مدير الأوقاف بقصيدة يدعوه فيها لاعادة تعمير مسجد الوزير ، ويقول فيها :

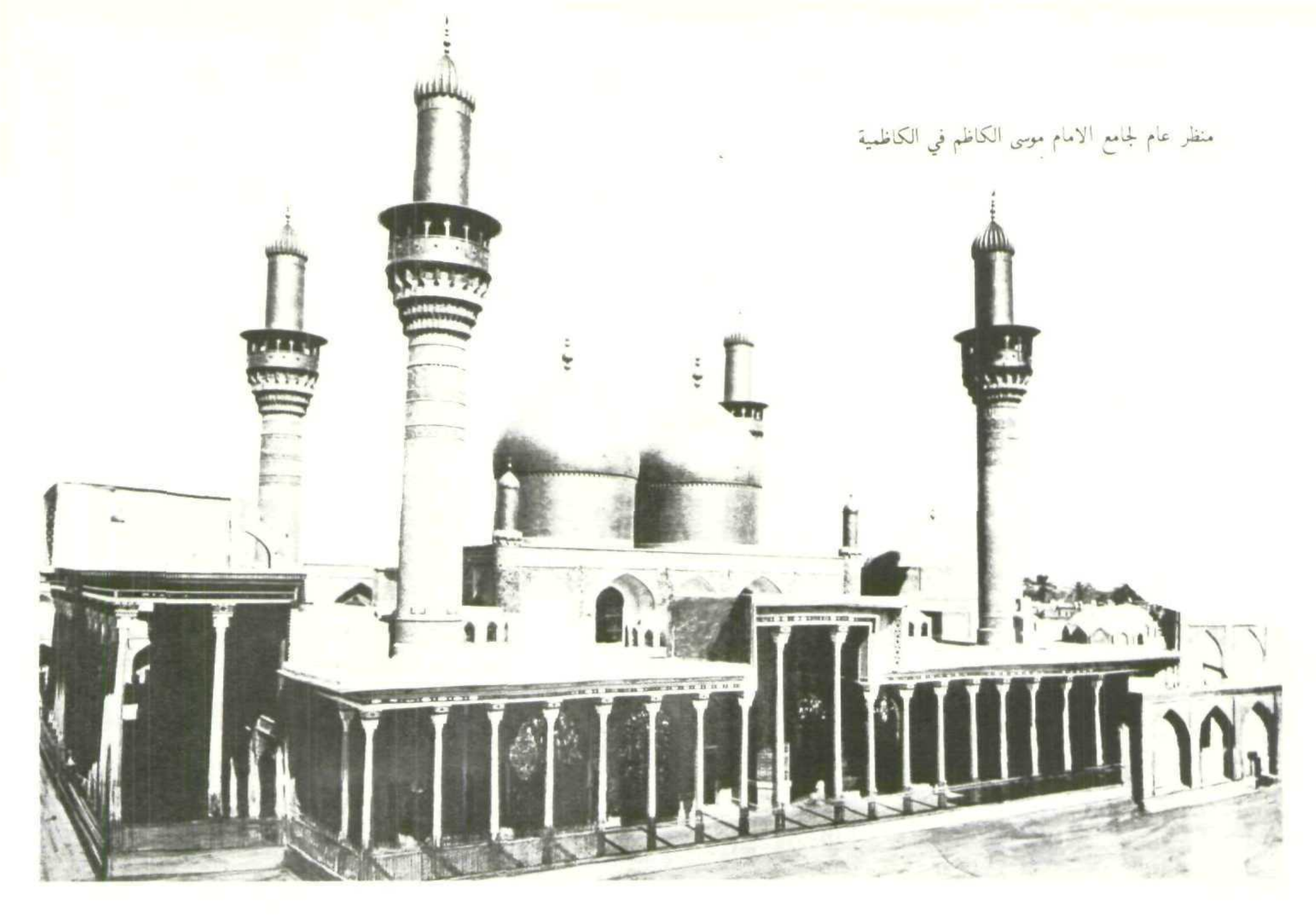
يــا جامع الشهم الوزير تعطلت
حجراتك الحسنى فعــدن بوائدا



منبر الجامع الصفوي في الكاظمية .



جامع الامام العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، في كربلاء .



منظر عام لجامع الامام موسى الكاظم في الكاظمية

لله مـا شاد الوزير ومـا بنـى
مـن جامع أحيا الوزير الماجدا
حتى إذا قـدم الزمان إذا بـه
طللا يرينـا عهد عز بائدا
فكأن دجـلة مدمع تبكي بـه
بغداد عصر بنائـه المتباعدا
تدعو الأماجد أن يعيـدوه لهـا
فاستنطقوها : هل رأيت أماجدا ؟
أمير دار الوقـف شيده تجـد
لك شاكرا في المسلمين وحامدا
ستنال أجرك مـن الهـك أن ترى
فيه لربك راكعـا أو ساجـدا
أوليس عـارا أن يظل خرائبـا
ولـه ينابيع تفيض عساجـدا
فضع الموارد للعبـادة تلقهـا
تجري عليك من الثناء مـوارادا

وكان لهذه القصيدة أثرها العميق في نفس مدير الأوقاف العام فأمر بإعادة بناء المسجد .

وهناك عدد من المساجد في بغداد زالت من الوجود من عهد قريب بتأثير عوامل وأسباب عديدة ، منها « مسجد السور » الذي هدم وألحق بشارع الجمهورية . وأقيم مسجد جديد بالاسم نفسه عوضا عنه في ناحية تل محمد . ومنها « جامع الكهية » الذي هدم قبل سنتين وأصبح ميدانا . ومنها « مسجد حاجبة خاتون » الذي كان يقع في محلة امام طه وادخل في شارع الجمهورية . ومنها « مسجد حسب الله » الذي بناه حسب الله جلبي في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وعمره فيما بعد عبدالله كتخدا ، والي بغداد ، وهو يقع قرب الشورجة . وقدألحق أيضا بشارع الجمهورية . ومنها أيضا « مسجد سوق الغزل » الذي يقع جنوبي منارة سوق الغزل ولم يبق منه غير محرابه .. وغيرها . وقد عوضت هذه المساجد بأخرى حديثة أقيمت مؤخرا داخل بغداد وضواحيها

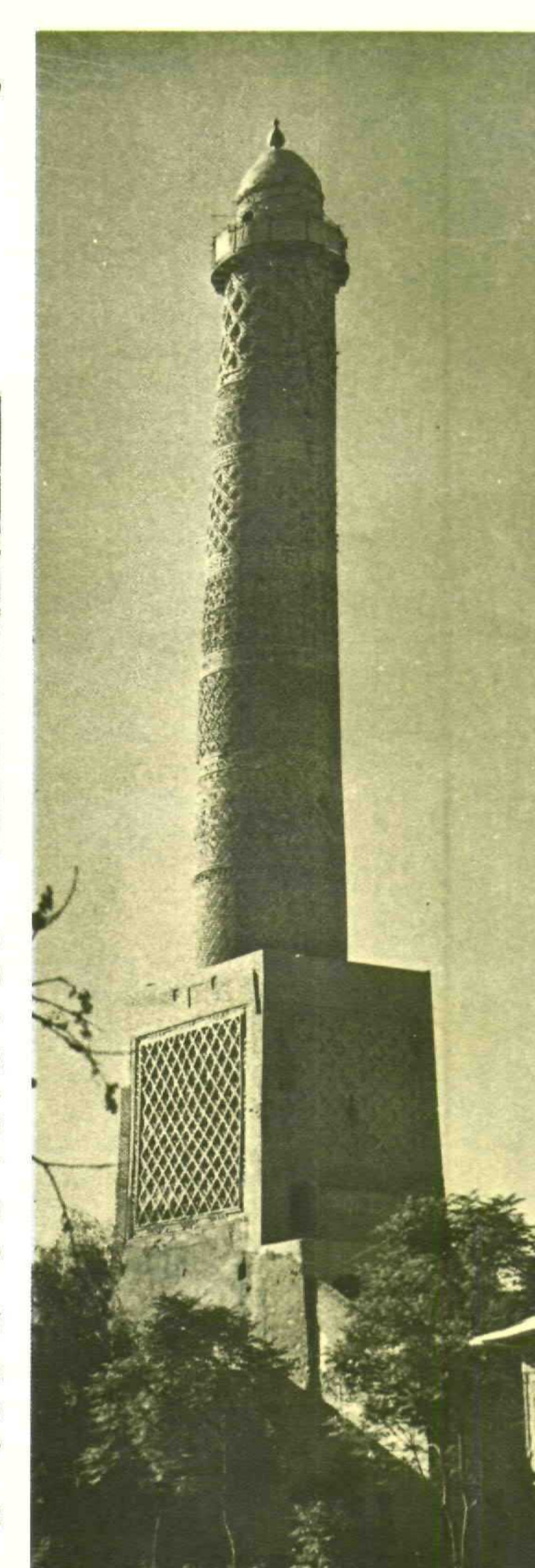
ونخرج من بغداد الى « كربلاء » التي تقع على بعد ١٠٤ كيلومترات من بغداد . في بقعة يحيط بها النخيل الوارف وتحفها بساتين الفاكهة ، وفيها مرقد الحسين وأخيه العباس رضي الله عنهما . ومن كربلاء نذهب الى « النجف » التي تبعدعن بغداد بحوالي ثلاث ساعات بالسيارة . وهي بلدة كبيرة قائمة على رابية مرتفعة فوق أرض رملية فسيحة ، وكانت قديما مصيفا للمناذرة . ملوك الحيرة . وفي النجف دفن الامام علي بن أبي طالب . وعلى مبعدة حوالي عشر دقائق بالسيارة من النجف تقع «الكوفة» أول عاصمة عربية أسست في الاسلام على يدي القائد العربي المشهور سعد ابن أبي وقاص ، واتخذها الامام علي عاصمة له . ولا يزال مسجدها الكبير قائما حتى الآن يعيد علينا تاريخا يحفل بالعلم والفقه والمعرفة ، وما زالت منه آثار أحداث كان لها صداها وأثرها في التاريخ .

ونعود الى بغداد لنزور الجامع الصفوي ، وجامع الحيدر خانه ، والكاظمية حيث مرقد الامام موسى الكاظم ، و « جامع القلعة » الذي بناه السلطان« مراد الرابع »سلطان تركيا بعد فتحه بغداد داخل قلعة تحمي سور بغداد ، وتضم عدا المسجد وثكنة الجيش ومخازن الأسلحة ، مخازن للغلال ودارا لسك النقود وعدةدور للسكنى وسوق ومقاهي وحمـام .

ونترك بغداد مواصلين رحلة مساجد العراق الى « مدينة سامراء » التي تبعد عن بغداد بنحو ١٢٠ كيلومترا شمالا ، والتي اشتهرت بأنها كانت العاصمة الثانية للخليفة المعتصم بعد بغداد . وفي سامراء مساجد عديدة ، أشهرها

مسجد الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويقع في بلدة النجف





مئذنة جامع الحدباء في الموصل وهي تماثل برج بيزا المشهور في ايطاليا .

« الجامع الكبير » الذي بناه الخليفة أحمد الناصر العباسي ، ويمتاز هذا المسجد بقبته المبنية « بالكاشي » ، ثم « المسجد الجامع » الذي بناه المعتصم ومئذنته الملوية المبنية بشكل برج حلزوني مدرج ارتفاعه ٥٢ مترا ، ثم « جامع أبو دلف » وهو قريب الشبه بالمسجد الجامع ، كما أن مئذنته ملوية الشكل أيضا ، ثم « الروضة العسكرية » حيث يرقد الامامان علي الهادي وابنه حسن العسكري .

هذا عدا عدد كبير من المساجد الحديثة أحدثها « مسجد علي بن أبي طالب » الذي بناه أهل المدينة في سنة ١٩٦٤ ، وكتبوا على بابه الخارجي :

ذا مسجد الامام زوج البتول
من أمه نال الرضى والقبول
قد شيدت بنيانه فتية
سمت بهم أنسابهم للرسول
يا قارئي شعري له أرخوا
اياك نسأل بالرضا والقبول

ونترك سامراء الى « الموصل » مركز المواصلات والتجارة في شمال العراق ، والتي تبعد عن بغداد بحوالي ٢٦٨ ميلا ..

ونزور في الموصل الجامع الأموي «جامع المصفى» الذي أنشأه « عقبة بن فرقد السلمي » بعد فتحه الموصل في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، ولم يبق من معالم هذا المسجد سوى منارته . ونزور « الجامع النوري » الذي أنشأه نور الدين زنكي ويسمى اليوم بالجامع الكبير ، وأبرز ما تبقى من آثاره منارته الحدباء الشامخة التي تعتبر أطول منارة في العراق ، طولها أكثر من خمسين مترا . ثم « جامع النبي جرجيس » ، وأخيرا مئذنة سنجار في الجهة الشمالية الغربية من الموصل ، وهي من المآذن العراقية التاريخية المهمة ، شيدت في عهد مماليك السلاجقة بالآجر والجص ، وقد تهدم نصف بدنها الأعلى وليس لها اليوم مسجد يتصل بها لأن مسجدها قد تهدم واندثر . وتاريخ المئذنة مدون في منتصف بدنها الأعلى محفور على الآجر بحروف كبيرة بارزة ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . تطوع بعمارته العبد الفقية . زنكي ابن آق سنقر . في شهر محرم سنة احدى ومائتين وخمسماية ».

وتنتهي عند مئذنة سنجار جولتنا بمساجد العراق .

في أعقاب الهوى

للشاعر محمد حسن عواد

يا صفي الأمس يا باعث أطيافك في جنح الليالي
زمرا تحشدها الذكرى بأحلامي ، فما تبترك بالي
واصلتني في صباحي ومسائي ، نعما أحييت خيالي
كلما مثلها الحب المولي همست جذلى قبالي
أنا من تعرف صدقا ووفاء في الهدى أو في الضلال

ألهبتك النار من وقدة احساسي على ساحة قلبك
وتداعت لأغانيك عذارى البحر يعلمن بقربك
فتبناك « كيوبيد » وقد روع من ثورة حبك
وتهاوت أنجم الليل تدانيك لكي تحيا بقربك
وأصاخ الفجر للنجوى التي ترسل من أعماق لبك

هذه يا فاتن الأمس أهازيج لذكراك الجميله
سقت الود وكم يهتز روح الود بالسقيا النبيله
مثلما تهتز بالانسام - عند الفجر - أشجار الخميله
ولكم تفتح في آفاقه الوسعى مسافات طويله
يستحث الفن فيهن الخطى تبسط في النفس شموله

عالم الود الى القلب حبيب واسع عند الوفي
فالتمسه - أبدا - أرحب ما تعرف ، في قلبي الشجي
لا تخف طغوة نسياني ، فما أنسى سويعات النجي
ان لي قلبا براه الله كاليم أو السيل الأتي
تغرق الأحداث فيه ، ثم في الكون الكبير الأزلي

نحن من طين وما يحسن يا صاحب بالطين الغرور
انه يحزن ان هان ، وينشيه اذا عز السرور
ومزاج الطين في أطوائه ويحك صاف وكدير
ان أسأنا أو أصبنا فهي النزعة والطبع الغرير
ولنا من فوق هذا نزعة أخرى على الطهر تدور

فاحبني همسك ، بعد اليوم ما شئت وشاء الحب طولا
واسلمي ، أيتها الروح التي تصطحب الطيف الجميلا
وابعثي ذكرى شهور سلفت كانت لنا الماضي الحفيلا
ولتكوني أنت ايحائي ، في الشعر ، فما أبغي بديلا
أنا من أقصى ، عن الشعر ، الأساطين ، فحولا لا فسولا

كان بالأمس تلاقينا على الشاطىء في الثغر المحبب
وذكاء خلعت فضي منزرها وماست بالمذهب
واصطحبنا في دجى الليل وقد أغفت عيون تترقب
واتحدنا في عباب الحلم السابح في فجر ، وغيهب
حيث لا أملك ، أو تملك ، من نفسي ، أو نفسك مهرب

وتلاقينا بواد كان معمورا ولكن بالذئاب
كان قفرا خاليا ، والقفر بالروعة جذاب اليباب
كان . . . ثم انقلب الوادي جنانا لبست خضر الثياب
السهول الفيح في أرجائها تشرق حسنا ، والروابي
والرمال الصفر ، تسقيها حياة اليوم معسول الشراب

ثم . . . . حيث « الزيت » يجتاز الأنابيب كزحف الأفعوان
ماضيا ينسج ثوب العيش والقوة للأرض الحصان

يبعث الوثبة اثراء ، وتصنيعا ، وابداع الجنان
خبرا كان ، وقد صار عيانا ، بعد تجسيم الكيان
يبدع العلم ، وان ابدعه العلم ، فأعجب بالمعاني

ثم قال الطيف – نشوان – ، وقد خف لهذي الذكريات
ان لي منها ولا غرو ، مكانا حافلا بالبسمات
كان فيه قلبك العامر نباضا بحلو الخلجات
كان فياضا بما يضفي على قلبي من معنى الحياة
كان معطاء لأشتات الذين استخلصوا أو للواتي

قلت يا طيف : وما زال ، كما قلت ، الى الآن فؤادي
أن لي قلبا براه الله كاليم يلبي وينادي
فيه للعاطفة البيضاء ، ايثار ، يغذيه ودادي
وبه أرحب ميدان لصون السبق من كبو الجياد
وعليه حارس واع من الطبع ، ومن بيض الأيادي

فيه للموطن آمال . . . . وأحلام كشار تتدفق
دونهن الزهر فواحا ترى البرعم عنه يتشقق
حائرات في زواياه تناجيه ولما تتحقق
تركت للشعب يغذوهن بالعزم وبالفكر المنسق
فاذا انضجها الدهر جلاها الجيل للحاضر نورا يتدفق

فيه يا طيف ، كما تعرف ينبوع من الماء النمير
تنثر الطهر على مجراه أملاك من القدس الأثير
هتفت بالحق والقوة والعدل وبالخير الوفير
طوعت من حيث لا تدري من المالك أسباب المصير
مرسل النفحة للانسان في دنياه ، من قبل الدهور

قلت للطيف ، وقال الطيف ما قال وأجملنا الكلاما
ومضى ينساب والأفكار تستهدف نورا وقتاما
وتجلى الصبح للحالم ، يلويه عن النوم ، فقاما
ها هي الدنيا تناديه لأعمال يناسبن القياما
تصرف الفكر عن الشعر ، اذا لم يلتمس فيه الصراما

ركز الشاعر أعمال الضحى في العيش فاعتاص الهموما
ورأى الدنيا جحيما بعد أن مارس في الليل النعيما
فانبرى يستنجد الشعر ، فأولاه طريقا مستقيما
فالهدى في الشعر ، أن يلمس في الدنيا حياة لا وهوما
كذب الزاعم أن الشعر أقوال يخالفن الفهوما

أيها الشعر كما تبعث في الليل شعورا ، وخيالا
ولحونا ، ورؤى ، يبصرها الشاعر طيفا ، أو جمالا
أنت في الصبح شعاع يكسب الفكر نشاطا وجلالا
أنت نبراس مشع يغمر العالم بالنور اتصالا
كذب الزاعم أن الشعر أقوال يحاولن المحالا

هكذا قلت ... وقد غادرني الطيف ، ووافى الواقع
فاذا الواقع في فلسفة الشعر عصي ، طائع
واذا الشعر حياة ثرة ، يرتع فيها الراتع
لا ينير العيش الا شاعر فذ ، وشعر ساطع

المرحوم
أمير بقطر

بقلم الاستاذ طاهر الطنامي *

في التاسع عشر من شهر يوليو الماضي نعي الى الأوساط العلمية والأدبية العالم الكاتب المربي الدكتور أمير بقطر ، فاهتزت قلوب رجال العلم والأدب حزنا لموته ، وأسفت معاهد التربية والتعليم في أميركا وأوربا وبلاد الشرق العربي لفقد علم من أعلام النهضة التربوية التي ساهم فيها منذ أكثر من أربعين عاما مدرسا وناظرا وعميدا ، وباحثا ومحاضرا ، وعاملا في سبيل تقدمها ورقيها ، وسائحا في البلاد الأجنبية ، يزورها ويحضر مؤتمراتها ، ويشترك في بحوثها وتجاربها وآرائها . حتى أصبح ركنا من أركان هذه النهضة التربوية ، لا في مصر وحدها ، بل في سائر البلاد التي عنيت بتربية الجيل الصاعد ، والأخذ بأحسن التجارب والطرق التربوية الحديثة ..!!

كان أمير بقطر من علماء العرب ، وأدبائهم النابغين ، ومن رجال التربية القلائل الذين رفعوا رأس بلادهم ، وسجلوا لها فخرا بعلمهم وجهادهم ونبوغهم في الأوساط الأجنبية ، وكان يعمل طول حياته للعلم وحده ، ولخدمة الأدب وحده ، ولتقدم التربية والتعليم ، وقد مات غريبا في النمسا ، وشيع في مصر في هدوء وسلام ، كأن لم يكن من الأعلام !

كان في حياته هادئا بعيدا عن الضجة والزحام ، يفر من الدعاية لنفسه ، ويتنكب المنافسة والخصام ، وكان مخلصا لعلمه وفنه ، لا يهدف الى جزاء عن جهاده ، ولا يسعى وراء منصب أو مكانة بين الناس . فقد عرف الحياة حق المعرفة ، واختبر الدنيا حق الاختبار ، وسمت نفسه الى كريم الشمائل ، وكانت خدمة الانسانية هي هدفه الأسمى ، ولذته الكبرى ..!

أحب العلم منذ صباه ، وأغرم بالتعلم والتعليم ، ومن أجل هذا الحب وذاك الغرام هاجر مبكرا من مهد ولادته ومسقط رأسه « أسيوط » عاصمة الصعيد ، وانتقل الى القاهرة ليلتحق بأحد معاهدها العالية بعد أن أتم دراسته الثانوية في « الكلية الأميركية » بتلك العاصمة .

ولعل الكثيرين لا يعلمون أن الدكتور « أمير بقطر » بدأ دراساته العالية بدراسة القانون . فقد التحق طالبا بمدرسة الحقوق «كلية الحقوق الآن» ومكث بها حتى حصل على شهادة الليسانس . ولكنه ما لبث أن اتجه الى فن التربية والتعليم ، فمارسه سنوات عديدة حتى كان ناظرا للمدرسة الثانوية ببني سويف .. ثم أتيحت له فرصة السفر الى أميركا للدراسة ، فالتحق بجامعة كولومبيا ، وحصل على درجة الماجستير ، فالدكتوراه ، في التربية . ولما عاد إلى مصر اختير مدرسا بالجامعة الأميركية بالقاهرة ، ثم اختير ناظرا للقسم المصري بها سنة ١٩٣٢ م . ولما أنشئت كلية التربية وعلم النفس بهذه الجامعة أختير عميدا لهذه الكلية ، وبقي منذ ذلك الحين عميدا لها ، متوافرا على خدمتها وخدمة طلابها سنين طويلة ، حتى أغلقت أبوابها منذ عامين ، وقد تخرج منها طائفة من خيرة المربين والمربيات ..!

ولا نكون مبالغين اذا قلنا أن أمير بقطر كان العربي الوحيد الذي نال بين خمسة عشر نابغة من نوابغ العالم « الميدالية الذهبية » من جامعة كولومبيا بنيويورك ، فقد حصل على شهادة الدكتوراة بتفوق من هذه الجامعة سنة ١٩٣٦ م . فلما احتفلت الجامعة بمرور مائتي عام على انشائها سنة ١٩٥٩ م ، اختارت خمسة عشر متخرجا من أبرز متخرجيها الأحياء ، وأهدت اليهم بهذه المناسبة مداليتها الذهبية وسط احتفال كبير أقامته ، وحضره عدد ضخم من الأساتذة ومديري الجامعات الكبرى في أوربا وأميركا .

ولقد كان لأمير بقطر أن يتيه ويزهو بهذا التقدير ، وتلك المكانة الجامعية ، وأن تنشر الصحف العربية والافرنجية اسمه وصورته ، وترسم ميداليته ، ولكنه طبع على التجمل والانطواء ، فلم يعلم بفوزه بهذه الميدالية إلا عدد قليل من أصدقائه وزملائه ، وأبى على بعض مريديه وتلامذته أن يحتفلوا به من أجلها . وحسبه أنه وجد في هذا التقدير العلمي ما شجعه على المضي في خدمة العلم وخدمة أبنائه ، وما دفعه الى مواصلة الانتاج النفيس في حقل التربية وعلم النفس ، وفي ميدان الأدب والاجتمـــاع .

وقد امتاز الدكتور « أمير بقطر » بروحه العذبة في كتابته ودروسه وبين تلامذته وزملائه ، الى ما كان يزدان به من التواضع الجميل بين الكبير والصغير . وكان أشبه في تواضعه بالغصن الممتلىء بالثمر ينخفض ويدنو بما يحمل من أطيب الثمرات ، ويعطي ويجود ولا يمنع . وليس كالغصن الفارغ المتجرد من الثمر الذي يرتفع شامخا في الفضاء دون أن ينتفع به أحد ، وقد كان قدماء اليونان يمثلون بالأول العالم الغزير العلم المفيد المتواضع ، ويمثلون بالثاني الجاهل المتكبر الذي لا نفع منه ولا خير لأحد من ورائه ..!

ولا أعرف أستاذا ، ولا مربيا ، أحبه تلامذته ومريدوه كالدكتور أمير بقطر ، فقد جذب اليه الجميع بسماحة نفسه ، ورجاحة عقله ، وسعة صدره . وكان مثالا للأستاذ الجامعي الحق الذي تربط بينه وبين أبنائه أواصر المودة والتعاون في سبيل تربيتهم تربية تقوم عل حرية البحث والانتاج الصحيح .

وطالما أطمعهم في السعي اليه ، والاستفادة من علمه وأدبه ، وطالما أرشدهم الى مناهل البحث الجامعي الحر ، وأهاب بهم أن يتجملـــوا بأخلاق العلماء الجامعيين ، وكان لهم أحسن قدوة في ذلك . ولقد طالما كان يدعوهم في الأعياد القومية والعلمية والتاريخية ليحتفل معهـــم بمناسباتها ، ويعلمهم كيف يحتفلون بها ، ويقدم لهم من تجاربه في هذه الأعياد ما عرفه في البلاد الراقية من أجمل التقاليد وأنفع العادات .

وكان لفقيدنا العزيز طريقة محببة في مقالاته ومؤلفاته ومترجماته ،

---

* فيما كنا نعد هـذا المقال للظهور ، تناهى الى أسماعنا نبـأ وفاة كاتبه .. والقافلة اذ تودع علما من أعلام الأدب الذين نذروا حياتهم لخدمة العلم والمعرفة ، تضرع الى الباري عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناتـــه .

لا يشاركه فيها الا عدد قليل من المؤلفين والكتاب . فقد كان يعنى باختيار الموضوعات العلمية الجديدة والبحوث العصرية الشائقة . ولم يكن يكرر نفسه ، أو يقلد غيره ، بل كان غزير المادة ، واسع الاطلاع ، كثير التفنن ، ميالا الى التطوير والتجديد . وقد ألف وترجم كتبا عديدة تدل كلها على غزارة علمه وتمكنه من لغته وقدرته في اللغة التي يترجم عنها . ونذكر من هذه الكتب : « كيف نتعلم لنعيش » ، وهو من أوائل مؤلفاته ، و « الاتجاهات الحديثة في التربية » ، و « الدانمرك ومدارسها » ، و « المدرسة والمجتمع في وادي النيل » ، وهو بالانجليزية ، و « الدنيا في أميركا » ، و « أنت وأنا من أين جئنا ؟ » ، و « القصور الجنسي » و « فن الزواج » .

وقد ترجم فيما ترجم : « التربية في الشرق الأوسط » ، و « ٢٠ سنة في حجرة الاعترافات » « للدكتور فردريك لويس » ، و « اعرف نفسك » ، و « لا تخف » للدكتور أدوارد سبنسر كولز .

وقد أسس « مجلة التربية الحديثة » عام ١٩٢٨ ورأس تحريرها منذ ذلك الحين ، وكان يحرر أكثر موضوعاتها الى أن توفي . وقد عرض فيها أحداث الموضوعات والآراء في التربية وعلم النفس والاجتماع .

ولم يقتصر انتاجه في بحوثه ومقالاته على مجلة « التربية الحديثة » ، بل كان يساهم في تحرير المجلات العربية والأجنبية الكبرى . ويبلغ ما حرره في احدى هذه المجلات ، وهي مجلة « الهلال » منذ سنة ١٩٣٠ إلى ما قبل وفاته بقليل مائة وخمسة وتسعين (١٩٥) مقالا .

هذا عدا ما كتبه في مجلة «قافلة الزيت» ومجلة «المقتطف» وصحيفة « الاهرام » وسائر الصحف والمجلات الأخرى . ولو أن بحوثه ومقالاته جمعت لملأت عشرة كتب ضخمة . ! !

ومن هذه البحوث والمقالات : « الآثار النفسية للحروب » ، « الأثرياء العاملون والأثرياء العاطلون » ، « شر الأمور الوسط » ، « الاتيكيت في مجتمعنا » ، « أطفال المستقبل يولدون بالبطاقات » ، « وأنت سعيد إذا فكرت في السعادة » وقد قال في هذا المقال :

« تمكن الانسان بعقله وذكائه أن يفهم الكثير من أسرار الطبيعة ، ويتغلب على أرضها وبحرها وهوائها ، ويسخر قواها في سبيل خدمته ورفاهيته ، ولكنه عجز عن تفهم هذا العقل والوقوف على بواطنه . لقد علمنا الاختبار من قديم الزمان أن العقل هو ربان الجسم الذي يسهر عليه ويدير دفة سفينته . غير أن العصر الحديث كشف لنا عن سر آخر كنا نجهله وهو تأثير العقل في الجسم بتغيير كيمياء الدم فيه ، وما يتأتى عن ذلك من صحة ومرض ، وراحة وتعب » .

« يحتد أحدهم غضبا ، وتثور ثائرته لأمر يتعلق بكرامته ، أو دفاعا عن حياته . ثم يجلس بعد ذلك مباشرة إلى المائدة لتناول طعامه ، فإذا بقطعة اللحم الشهية المنظر تنقلب في فمه علقما مر المذاق .. عرف الناس ذلك منذ زمن بعيد . ولكنهم لم يعللوا تلك الظاهرة سوى بأنها وهم . وقالوا أن هذه المرارة لا وجود لها الا في مخيلة صاحبها . بيد أن العلم الحديث قد برهن لنا بأدلة قاطعة على أنها حقيقة واقعة . لقد حدث تغيير كيميائي في الفم فعلا تسبب عنه ذلك الطعم المرير .. » الى آخر هذا المقال الذي اعتمد فيه على التجارب العلمية الحديثة ، وحقائق البحث الجديد .. !

وقد قال في مقال آخر ما نقتبس منه هذه الفقرات :

« لعل أفلاطون كان أول من تحدث عن « الوسط الذهبي » . وقد أصبح المثل المأثور : « خير الأمور الوسط » أنشودة تتغنى بها الأجيال ، ويتناقلها الخلف عن السلف . وقلما خطر ببال أحد أنه إذا كان قول « خير الأمور الوسط » يتفق والواقع أحيانا أو أحايين ، فإن قول : « شر الأمور الوسط » يتفق والواقع كذلك أحيانا أو أحايين .

ومن هذه الفقرات يبدو لنا أسلوب الدكتور « أمير بقطر » في كتاباته وانشائه . فقد كان أسلوب العالم الأديب ، أو الأديب العالم ، فهو أسلوب سلس بليغ يمتاز بالسهولة والرشاقة والروح العذبة ، مع عمق البحث وتجارب العلم الحديث .. ! !

وقد تناول في بحوثه ومقالاته مشاكل المرأة وحياتها في كثير من جوانبها الذاتية والعاطفية والاجتماعية والعائلية ، فكتب عن جمال المرأة ، وعن حبها ، وحاضرها ومستقبلها مقالات عديدة بلغت في مجلة واحدة أربعين مقالا ، منها : « الجمال الروحي والجمال المادي » ، « الجمال في التاريخ والجغرافيا » ، « الحب ومشكلاته » ، « المرأة والرجل والسيارة » ، « المرأة المسترجلة » ، « الرجل أجمل من المرأة » وغيرها .

وكتب مقالا في يناير سنة ١٩٥٠ بعنوان « سيدة المستقبل » جاء فيه عن المرأة بعد خمسين عاما :

« اذا كان الحاضر مرآة المستقبل ، كما يقولون . فإن المرأة في نهاية الخمسين سنة القادمة ستكون بعيدة الشبه جدا عما هي عليه اليوم ، جسما ، وعقلا ، وشخصية ، وخلقا ، وزيا ، وعادة ، وتقليدا . ولن تستبقي من كيانها الذي نعرفه سوى الجانب الكبير من وجدانها وعاطفتها ان لم يكن كله . وقد يعترض على هذا بعضهم ، فيقول : لقد شهدنا المرأة منذ خمسين عاما مضت ، ولم نر في زميلتها في منتصف القرن العشرين فارقا جوهريا ، والجواب عن ذلك أن ركب العلم والحضارة والاختراع ستتضاعف سرعته كل عام ، ان لم يكن كل يوم ، فإذا كان سيره في سنة ١٩٠٠ م بسرعة الجمل ، فإن سيره سنة ٢٠٠٠ م سيكون بسرعة الصوت ، وقد يتجاوز ذلك . وليس هذا القول ملقى على عواهنه ، أو من قبيل الرجم بالغيب ، ولكن الدلائل والأرقام التي تضيق بها هذه الصفحات تؤيده — وتدل الأرقام والشواهد على أن المرأة تطول قامتها باطراد ، فقد احتفظت بعض الكليات والجامعات في شمال أوربا وأميركا بسجلات ألوف من الطالبات وأمهاتهن ، فاتضح لها أن الطالبة تزيد عن أمها قامة وعرضا في المنكبين والصدر بأكثر من سنتيمترين ، كما اتضح أن هذه الزيادة مطردة في أكثر النواحي . وتعزى هذه الظاهرة الى عدة عوامل أهمها : الانتخاب الطبيعي للزوجين ، والغذاء والرياضة البدنية . وليست هذه مجرد أرقام فقط .. » الى آخر هذا المقال الطريف الذي دعم فيه الارقام بالشواهد والاحداث .

هذا بعض ما يجب علينا أن نشيّع به هذا العالم الجليل والكاتب النابغة ، وهذا بعض ما له من فضل جزيل في العلم والأدب وميدان التربية والتعليم ، نذكره بعد أن صعدت روحه الى السماء ، مخلفا وراءه في الأوساط العلمية والأدبية والتربوية ذكرا جميلا وأثرا لا يمحى . فلقد أفنى حياته في خدمة الحياة الانسانية في أسمى جوانبها ، وكان يملأ وقته أينما كان بالعمل والانتاج .. ولهذا فان خسارتنا بوفاته خسارة فادحة ، لا يخفف من آثارها الا أن نرى عارفي فضله يعنون بجمع آثاره ونشرها ، ليستفيد منها أبناء الجيل الجديد ، ولتكون للأجيال القادمة ذخيرة نافعة ، وسجلا نفيسا لأصح الآراء ، وأصدق الأفكار ، ومنهلا عذبا ترتوي منه عقول القراء .

دار الحنان في جدة

منذ عشرة أعوام ونيف أرست حرم صاحب الجلالة الملكة عفت اللبنة الأولى في صرح النهضة التربوية النسائية الحديثة في المملكة العربية السعودية ، وذلك بافتتاحها دار الحنان في جدة عام ١٣٧٦هـ . وكانت الغاية من انشاء هذه المدرسة هي احتضان اليتيمات والمحتاجات من بنات الوطن ، واعدادهن اعدادا جيدا ليصبحن أمهات صالحات ينشئن جيلا خيّرا من البنين والبنات . وقد بلغ مجموع الفتيات اللائي التحقن بدار الحنان آنذاك ثلاثين فتاة ، ولكن هذه الدار ما لبثت ان توسعت اجزاؤها في سنتها الثانية لشعور المسؤولين بحاجة البلاد الملحة الى افتتاح مدرسة للبنات في المملكة. فبالاضافة الى القسم الداخلي الخاص باليتيمات ، افتتح قسم خارجي أقبلت عليه الطالبات اقبالا جيدا . وتطورت مراحل الدراسة في دار الحنان عاما بعد عام ، الى أن أصبحت اليوم تضاهي أحدث مدارس البنات في البلدان المتحضرة ، وهي تعتبر الأولى من نوعها في المملكة .

لم تكن دار الحنان في عهد نشأتها الأولى سوى مبنى بسيط ، غير أن تطور مراحل الدراسة فيها استدعى اقامة بناء حديث لها عام ١٣٨٥ ، تبرعت بتكاليف بنائه وتأثيثه ومعداته جلالة الملكة عفت . أما الأرض التي يقبع عليها مبنى الدار فقد تبرع بها الشيخ ابراهيم شاكر . ويتكون المبنى من طابقين ، الأول للادارة وللقسم الابتدائي ، والثاني لطالبات المرحلة الثانوية والمتوسطة . وتتسم المدرسة بجمال التنسيق الهندسي ورونق الأثاث وبساطته بالاضافة الى النظافة والنظام .

شروط الانتساب

يتوقف قبول الطالبة في القسم الخارجي للمدرسة على مستواها الذهني وتناسب عمرها مع معدل عمر الصف الذي ستنتمي اليه . وتدفع الطالبة رسوما رمزية تعادل نصف ما تنفقه ادارة المدرسة عليها .

أما القسم الداخلي فيتوقف قبول الطالبة فيه على أوضاع أسرتها الاجتماعية والمادية . فاذا كانت ممن فقدت أحد والديها أو كانت حالة والدها المادية تحول دون الانفاق على تعليمها ، قبلت الفتاة وأعفيت من جميع الرسوم التي يجري تقاضيها من فتيات القسم الخارجي . وهنالك عدد آخر من طالبات القسم الخارجي معفيات أيضا من الرسوم .

مراحل التعليم

تمتد مراحل الدراسة في دار الحنان من السنة الأولى الابتدائية حتى السنة الثالثة الثانوية ، بالاضافة الى قسم للحضانة مزود بمختلف وسائل الايضاح والألعاب . ولدى بلوغ الطالبة السنة الثالثة الثانوية تحول حسب ميولها وتحصيلها الدراسي الى أحد الفرعين العلمي أو الأدبي . حتى اذا ما أنهت دراستها ونالت الشهادة الثانوية العامة ، أصبح بامكانها اكمال دراستها الجامعية في مختلف الفروع ، بعد أن تكون قد تجندت برصيد وافر من الثقافة والأدب والعلم . هذا وقد ارتفع عدد طالبات المدرسة سنة بعد أخرى حتى وصل الى ٧١٢ طالبة في العام الحالي ، موزعين على الشكل التالي ٢٤٧ طالبة في المرحلة الثانوية ، و ١٥٥ طالبة في المرحلة الاعدادية ، و ٢٣٠ طالبة في المرحلة الابتدائية و ٨٠ طالبة في قسم الحضانة .

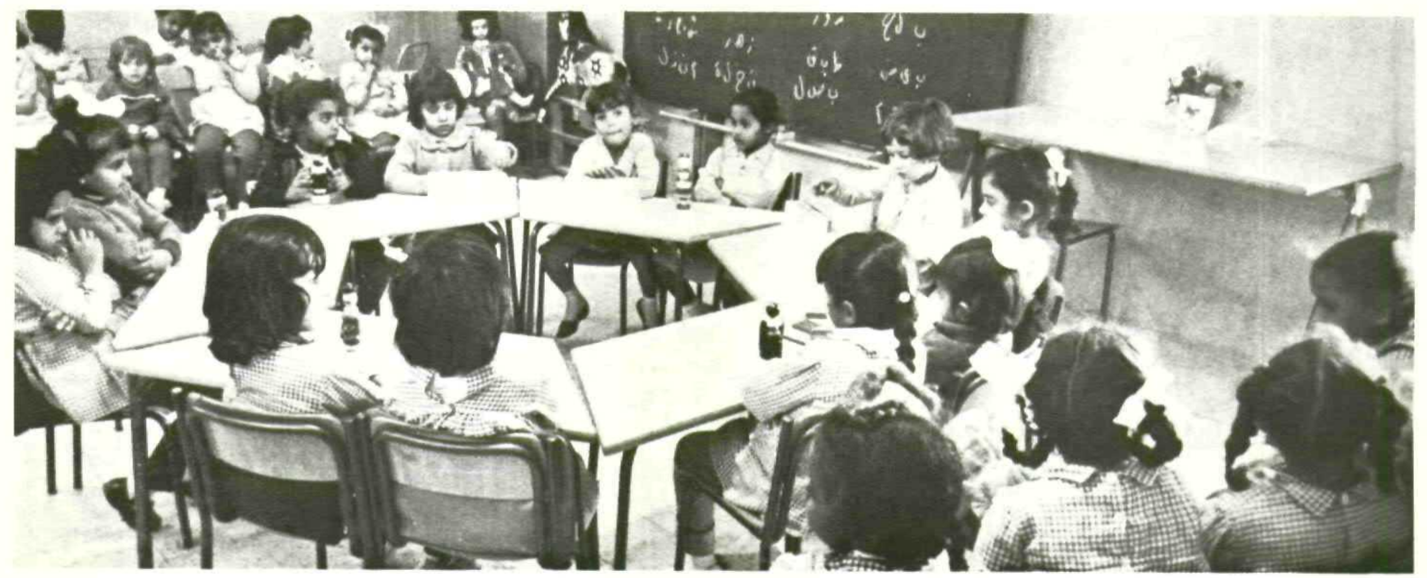
ونتيجة للجهود المخلصة التي تبذلها الادارة والهيئة التدريسية معا للنهوض بمستوى الفتيات العلمي والثقافي والأدبي والاعدادي ، ونظرا للاشراف الاداري الحازم الذي يستهدف مصلحة الطالبات

مبنى دار الحنان في جدة الذي أنشأته حرم صاحب الجلالة الملكة عفت على نفقتها الخاصة .





الكتابة على السبورة طريقة عملية تساعد طالبات المرحلة الابتدائية على النطق السليم .



طالبات قسم الحضانة يستعن بوسائل الايضاح المختلفة في استيعاب دروسهن .

وتأمين مستقبلهن ، بلغت نسبة النجاح في الاختبارات الانتقالية والشهادات العامة درجة عالية . ففي الشهادة الثانوية العامة مثلا، بلغت نسبة النجاح ٨٦,٨ في المائة، وفي شهادة الكفاءة المتوسطة بلغت ٩٩ في المائة ، وفي الشهادة الابتدائية بلغت ٩٠ في المائة ، وفي الصفوف الانتقالية بلغت ما بين ٨٠ و ٩٠ في المائة . هذا وتسير المدرسة في مناهجها ومقرراتها في قسميها الابتدائي والاعدادي وفق مناهج الرئاسة العامة لمدارس البنات التي تولي هذه المدرسة عنايتها وتقدم لطالباتها الكتب المدرسية مجانا حتى آخر صف في مرحلة الكفاءة المتوسطة .

أما في المرحلة الثانوية فتتولى وزارة المعارف تقديم الكتب مجانا للطالبات ، وتتبع المدرسة حينئذ منهاج وزارة المعارف ، الا انها من حيث الاشراف تبقى خاضعة للرئاسة العامة . الى جانب برامج الرئاسة العامة ووزارة المعارف، تدرس الرياضة لطالبات المرحلة الاعدادية والثانوية ، والموسيقى والرياضة واللغة الانجليزية لطالبات المرحلة الابتدائية .

القسم الداخلي

كان القسم الداخلي نواة لإنشاء دار الحنان ، ثم ما لبث ان اتسع حتى أصبح اليوم يضم ما يقرب من ستين فتاة معظمهن في المرحلة الابتدائية والمتوسطة . وتقوم ادارة المدرسة بتحمل جميع نفقات الطالبة وتأمين حاجاتها من كتب وأدوات مدرسية ومأكل وملبس وغيره ، وللقسم الداخلي نظام خاص تتقيد به الطالبات وتشرف على تنفيذه مشرفات مختصات . وهؤلاء الطالبات يقطنّ في غرف صحية مؤثثة تأثيثا مريحا .

قسم الحضانة

يقبل في هذا القسم فتيات لا تتجاوز أعمارهن الثلاث سنوات ، وتشرف عليهن مربيات مختصات في تربية الأطفال حسب الطرق التربوية الحديثة ، ولدى هذا القسم باحات فسيحة وحدائق جميلة تضم عدداً من الأراجيح والألعاب المختلفة يلهو بها الأطفال الصغار .

المختبر

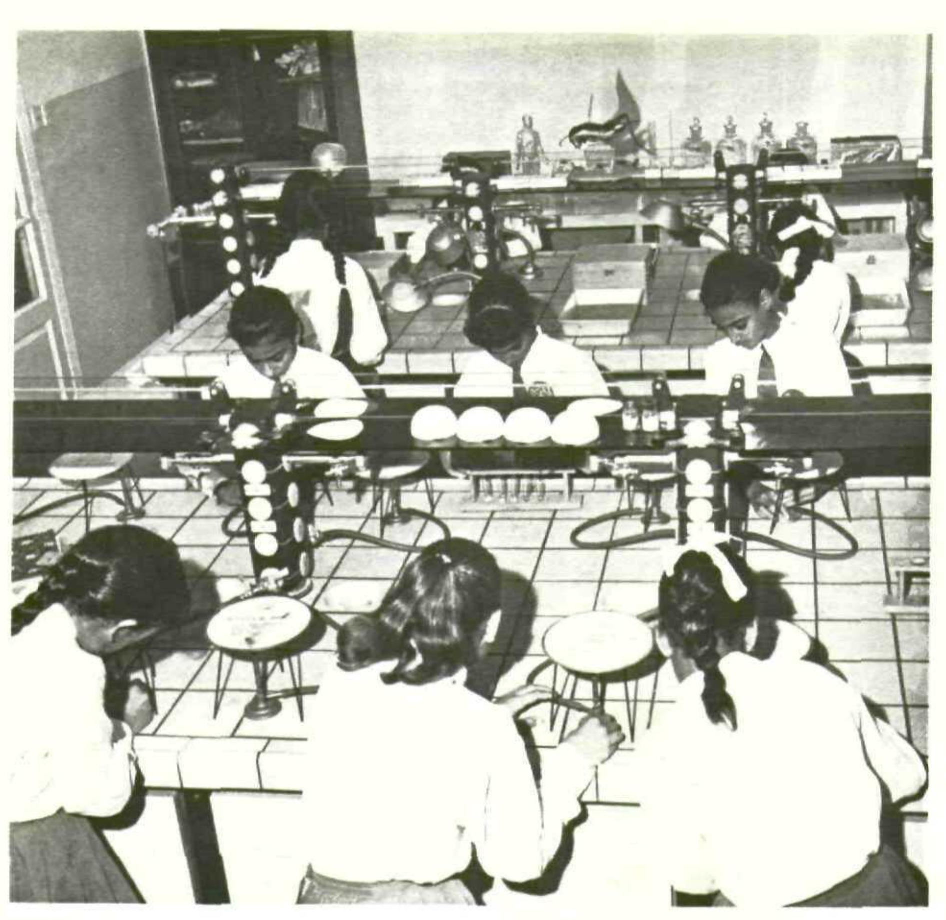
يوجد في مدرسة دار الحنان مختبران مجهزان بمختلف المعدات والأدوات الحديثة اللازمة لاجراء التجارب العلمية المختبرية ، كما يحتوي المختبر على عشرات من النماذج والرسوم الايضاحية التي تبحث في جسم الانسان وأعضائه والتي تساعد المدرّسة على شرح وظائف الأعضاء للتلميذات .

المكتبة

ولدار الحنان مكتبة ضخمة ما زالت في مرحلة التنظيم والتنسيق ، وستكون خير



التدبير المنزلي من الحصص الرئيسية التي تتلقاها الطالبات ضمن المنهاج المدرسي .



طالبات المرحلة المتوسطة يجرين بعض التجارب المختبرية في المختبر .





درس في الرسم حيث الهواء الطلق والمناظر الطبيعية الجميلة .

الصحة والنشاط ينعكسان على هذه الوجوه البريئة .

اداة فعالة في تثقيف الطالبات وتعويدهن على المطالعة الخاصة التي توسع مداركهن وتزيد في ثقافتهن العامة . وقد زودت ادارة المدرسة المكتبة بمجموعة قيمة من المؤلفات والمراجع وعدد من الكتب النفيسة التي تبحث في العلوم الدينية والآداب العربية والتاريخ فضلا عن القصص القيمة لأشهر الكتاب .



طالبات القسم الداخلي أثناء تناولهن احدى وجبات الأكل اليومية .

النشاط الإجتماعي

تضم دار الحنان لجانا مختلفة تجتمع مرتين اسبوعيا وذلك لتنمية المواهب الأدبية والفنية عند الطالبات . وهذه اللجان هي : اللجنة الفنية للأشغال والخياطة ، ولجنة التدبير المنزلي ، ولجنة التربية الرياضية ، ولجنة الرسم والفنون الجميلة . وتبرز أوجه نشاط هذه اللجان في المعرض السنوي الذي تقيمه المدرسة . وتباع المعروضات في هذا المعرض لصالح قسم دار الأيتام فيها .

مجلس الأمهات

مهمة هذا المجلس الذي يعقد شهريا برئاسة مديرة المدرسة ، النظر في المشاكل التي تواجهها الادارة أحيانا مع الطالبات والعمل على تسويتها . وفي هذه الحالة تجتمع أمهات الطالبات للتعرف بمشاكل بناتهن . ومن ثم تناقش هذه المشكلات في جو تسوده روح المحبة والتعاون ، وذلك حرصا على مصلحة الطالبات ومستقبلهن .

ولنا وطيد الأمل في أن تكون فتيات المملكة المتخرجات من مدرسة دار الحنان مثالا يحتذى به في تحصيل العلم والأدب والثقافة ، ويكن خير داعيات لتعاليم شريعتهن الحنيفة ، ويصبحن في المستقبل أمهات صالحات ومربيات فاضلات للأجيال المقبلة .

فريال محمود قطان



نماذج مختلفة من انتاج طالبات دار الحنان يجري اعدادها للعرض السنوي الذي تقيمه المدرسة .

تصوير : عبد اللطيف يوسف

المكتبات الجامعية المتخصصة وكيف تتابع حصر الانتاج العلمي

بقلم الاستاذ عباس صالح طاشكندي

أصبح التعليم العالي بمفهومه العلمي الحديث يعني في الوقت الحاضر الاهتمام التام بالجامعات كمركز لخدمة البحث العلمي ومتابعة التطورات الفكرية والعلمية في شتى المجالات . ولوجود هذه الجامعات ظهرت الحاجة الملحة لايجاد المكتبات العلمية المتخصصة التي تخدم الأغراض المختلفة لشتى التخصصات في الجامعات ، وذلك حتى يكون رابطا أصيلا بين الغرض التعليمي وبين متابعة الفكر في انتاجه المتتابع ولمعرفة التطور العلمي المطرد سواء في المجال العلمي أو المجال النظري . ولهذا فاننا نستطيع أن نقطع القول بأن هذا العصر ان هو الا عصر قد اتسم بطابع التطور الشامل في المجالات العلمية المتخصصة ، وانه عصر منظم قد استتبع وجوده نظاما لمجالات الحياة غير الذي كانت تسير عليه . والجامعات كمؤسسات علمية كبيرة لزم عليها أن تخدم تلك الفروع المتعددة من المعرفة ، فوجب قيام الاقسام فيها ، فهذه كلية الآداب وأقسامها المتعددة ، وكذلك كلية الحقوق ، والطب ، والهندسة ، والتجارة ، والعلوم ، وما الى ذلك من العديد من الكليات المتخصصة .

ومن هذا التقسيم المنطقي تبرز أهمية المكتبات المركزية في خدمة الدراسات العلمية في الجامعات ، بصفتها المغذي الأساسي لمكتبات الكليات والأقسام والفروع .

وأما بالنسبة للأداء السليم للخدمة المكتبية ، فان المكتبات الحديثة قد أخذت بطرق التنظيم العالمي الموحد ، فهذه المفهرسة – وهي الثبت الشامل لما تحويه المكتبة من مواد – تنظم سبيل وصول القارىء الى تلك المواد بأسرع وقت ، وبأسهل طريقة .

واما التصنيف – فهو حصر الانتاج الفكري وتقسيمه الى أنواع ، وجمع ماتشابه على حدة ، وفصله عن المواد الأخرى ، ثم أعطاؤه أرقاما عالمية ، كأرقام ديوي مثلا ، أو رموزا أبجدية كطريقة رايدر – وذلك حتى يمثل حصرا للمعرفة بحيث يشمل فروعها الى أصغر وحدة فيها .. هذا التصنيف قد سهل للقارىء معرفة سريعة للمواد التي تشملها المكتبة داخل جدرانها . وفي مجالات الخدمة المكتبية تحاول المكتبات أن تأتي بكل جديد يسهل مهمة وصول القارىء الى المادة المقروءة ، أو المرئية . وهذا ما أوجد تلك المدارس العتيدة في الخدمات المكتبية ، وتلك المؤسسات الضخمة في المواد السمعية والبصرية ، الى جانب الكتاب كمادة أساسية . على أن هناك في الوقت الحاضر تجديدا يحتاج المكتبات العلمية المتخصصة . هذا التجديد هو الاستخدام الآلي أو الألكتروني في الخدمة المكتبية ووسائل تنظيم المكتبات .

وعلى الرغم من المتابعة السريعة التي يقوم بها جهاز المكتبيين ، من الاخصائيين والفنيين ، لمتابعة الانتاج الفكري فان هناك تضخما هائلا في حركة النشر العالمية ، حتى أضحت المطابع جهازا يلفظ بغزارة ما يمدها به الناشرون من انتاج الفكر كما أن قياسنا أصبح لا يستطيع حصر ذلك الانتاج بأكمله . فكيف السبيل اذن الى استيعاب كل تلك النتاجات المتتابعة ؟ كان هذا واعزا الى الاهتمام بتلك المشكلة بشكل جدي يضمن حلها بصورة حسنة . ولهذا فقد كان التجديد في الأعمال المكتبية التي بدأ فيها استخدام الآلة على نطاق واسع ، فظهر نتيجة لذلك عدد من الأجهزة التي تقوم بعمليات مختلفة ، منها ما يلي :

١ – جهاز اختزان المعلومات واسترجاعها ، وهذا يقوم بالاستيعاب الشامل للمواد الجديدة ، التي تصل الى المكتبة ، في أشرطة مغناطيسية خاصة وحفظها . وعند الطلب السريع اليها تقوم العقول الالكترونية بتحضير الاجزاء اللازمة ، لكي يستفيد منها من أراد .

٢–تلخيص المعلومات واعداد القوائم البيبليوجرافية :

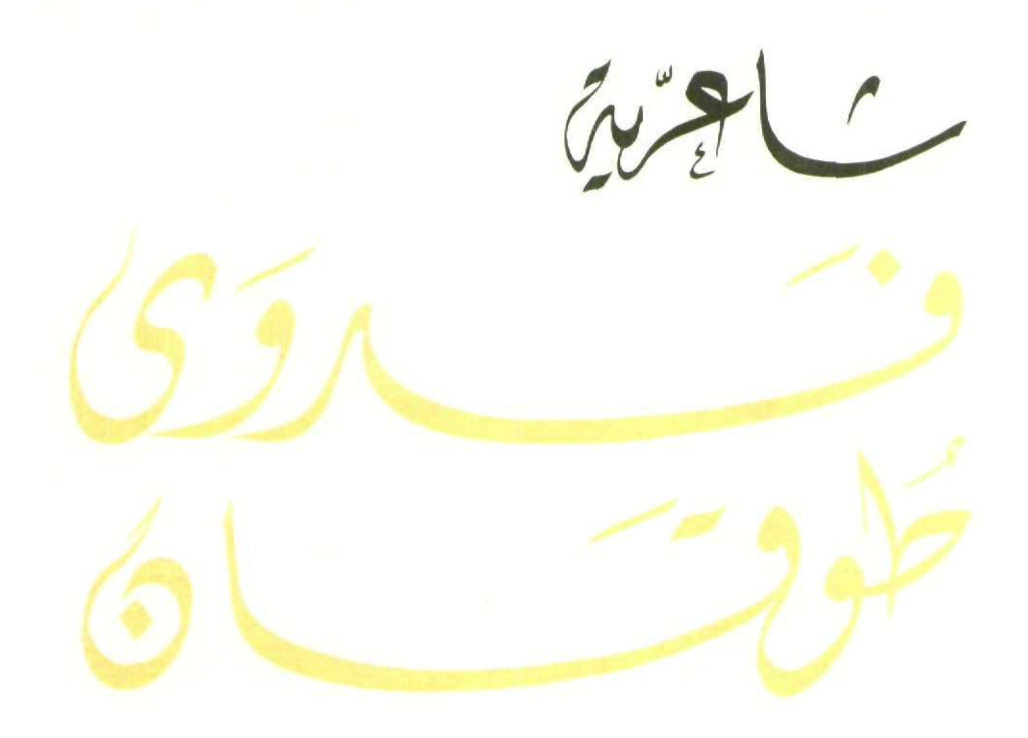
كان المكتبيون يعانون صعوبات جمة بالنسبة لعملية التلخيص ، بالاضافة الى أنها تستغرق الكثير من الوقت ، فكانت هناك أقسام معينة يتولى العمل فيها أمناء متخصصون في هذا المجال . حتى جاءت الأجهزة الآلية مثل (IBM 704) وهي التي تحصر النصوص وتحللها وتكشفها وتستوعب ملخصاتها ، وكذلك العقل الألكتروني (Univac) وهو يختزن جميع المعلومات ويحققها ويعد ملخصاتها ويسترجعها عند الطلب . كما أن هذا الجهاز يستطيع أن يستحضر جميع المواد التي تشمل موضوعا واحدا ، هذا الى جانب أنه يعد القوائم «البيبليوجرافية»للباحثين حول الموضوعات وكذلك حول الأشخاص .

٣ – الجهاز القرائي الطابع (3 M Reader Printer) وهذا الجهاز يقوم باعداد المادة التي يطلبها القارىء ، ويقرأها عليه ، وفي الوقت نفسه يقوم بطبعها للإستفادة منها في كتابة الأبحاث والرجوع الى النصوص المقارنة أو المقتبسة ، وهو يمثل تطورا كبيرا في عالم البحث . هذا فضلا عن أن المكتبات قد أخذت في استعمال أجهزة المايكروفيلم والمايكروكارد بصورة عامة ، كما بدأت مكتبات باستعمال البطاقات المثقوبة والبطاقات المخرومة الحواف (Edge Notched) والبطاقات الضوئية (Peakaboo) فهذا الاستعمال الآلي قد سهل ، ولا شك ، طريقة الوصول السريع الى المواد المكتبية والمعلومات بدقة متناهية . ومن خلال هذا السرد السريع للاستعمالات الآلية الحديثة في مجال الخدمة المكتبية نستطيع أن نقف على عمق المهمة الجديدة التي سوف يضطلع بها أمناء المكتبات في هذا العصر ، وخاصة في المجالات العلمية المتخصصة كالجامعات ومراكز الأبحاث العلمية والمعاهد العالية .

ولقد بدأ هذا التطور السريع بعد الظروف التي أوجدتها الحرب العالمية الثانية ، من استقرار للأوضاع ، واهتمام كثير من الدول بالانجازات العلمية ، وايجاد تكافل دولي في متابعة التطور العلمي والفكري في أنحاء المعمورة ، فنتج عنه نمو مفاجىء وسريع للوعي المكتبي ، ومتابعة سريعة ضخمة في التجميعات «البيبليوجرافية» ، الأمر الذي دفع كثيرا من مراكز الابحاث الى اللجوء الى قوائم التوثيق العلمي التي أصبحت تصدر بشكل شامل يغطي العالم كله . وقد تتحمل عملية التوثيق هذه عبء المتابعة السريعة والتسجيل الشامل لمواد المعرفة في المناطق العديدة من العالم ، الا أن عليها أن تتوحد ، وأن تنظم جهودها في هذا السبيل حتى تضمن لنفسها الشمول وسلامة الاداء .

على أننا في النهاية نؤكد حقيقة مهمة ، وهي أننا لا نستطيع أن نجزم بأننا قد توصلنا الى حلول بهذا الشأن ولكن قد يجد جديد فيها وقد تلغى كثير من العمليات الفنية داخل المكتبة . فان هناك عقولا تعمل بنشاط كبير علها تعثر على حل مرض لمشكلة تضخم الانتاج الفكري . وقد تطالعنا الأنباء بأخبار جديدة لمخترعات حديثة في هذا الشأن . فهناك العديد من الشركات العالمية تحاول أن تتسابق في الاختراعات المكتبية الحديثة . فلقد عرضت بعض الشركات المعنية منذ أشهر قليلة عددا من الأجهزة والمخترعات الحديثة التي تسهل مهمة التنظيم والخدمة في المكتبة الحديثة .

شاعرية فدوى طوقان



بقلم الاستاذ كامل السوافيري

اعتقد اني لست في حاجة الى تقديم الشاعرة العربية الكبيرة فدوى طوقان ، لأنها غنية عن التعريف أولا ولأنهـــا تصدح على الدوحة العربية وتشدو وتغرد في دنيا الضاد منذ عشرين سنة بشعرها الذي يهز القلوب بقوته ويخلب الألباب بجماله ثانيا .

وقد تألقتْ فدوى في سماء الشعر منذ ازدانت صفحات المجلات الأدبية في مصر والشام والعراق والحجاز بقصائدها في الأغراض الشعرية المختلفة من خاصة وعامة . وقد قدمت للمكتبة العربية ثلاثة دواوين تضمنت مختارات مـــن شعرها ، وهي « وحدي مع الأيام » الذي نشر في القاهرة عام ١٩٥٢ و « وجدتها » الذي نشر في بيروت سنة ١٩٥٧ و « أعطنا حبا » الذي نشر في بيروت أيضا سنة ١٩٦٤ .

ونظمت فدوى الشعر في أشكاله وقوالبـــه المختلفة ، فهناك طائفة من القصائد صبت في القالب الاتباعي على الطريقة التقليدية التي تلتزم وحدة الوزن والقافية في القصيدة ، وهناك طائفة ثانية التزمت فيها وحدة الوزن في القصيدة وتعددت فيها القافية ، وتمثل هذه الطائفة معظم شعر الشاعرة . وهناك طائفة ثالثة صبت في الشكل الجديد الذي يسير عليه الشعر الحر القائم على التفعيلة . ويضم ديوانها الأول الطائفة الأولى والثانية من القصائد ، على حين يضم الديوانان الثاني والثالث الطوائف الثلاث مـــن قوالب الشعـــر .

وقد مرت فدوى بمراحل نمت فيها شاعريتها وتطورت حتى اتسعت طاقتها الشعرية ، وتألقت موهبتها الفنية ، وتعددت منابعها وتنوعت مناحيها ، فأبدعت في الموضوعات الشعرية المختلفة ، ونهلت من الدراسة العربية بقسط كبير هيأ لها طواعية اللغة ، وسمو الأداء . واذا جاز للنقد المعاصر أن يخضع صقل موهبة الشاعر واتساع طاقته الشعرية لعوامل معينة ، وأسباب خاصة ، فاننا نستطيع أن نجد أربعة عوامل كان لها أثر بارز في نمو شاعرية فدوى وتطورها .

وأول هذه العوامل ، البيئة الأولى التي ترعرعت فيها طفولة الشاعرة ، إذ كانت بيئة شعرية . فكان شقيقها ابراهيم طوقان شاعر فلسطين المعلم المخلص الذي يرعى موهبتها ، ويتعهد شاعريتها ، كما كان شقيقها الأكبر أحمد يقرض الشعر بـــدوره .

وثاني هذه العوامل مولد الشاعرة ونشأتها في مدينة نابـــلس ذات المناظر الرائعة والمفاتن الخلابة ، فهي المدينة التي يحتضنها جرزيم

وعيبال ، الجبلان الشامخان اللذان تتناثر على سفحيهما أشجار الزيتون ، وما أكثر ما اوحى جرزيم وعيبال لفدوى بأروع أغانيها وأقوى قصائدها ، ولطالما ناجت أشجار الزيتون وأفضت اليها بأحاسيسها وأسرارها .

وثالث هذه العوامل المأساة الشاملة التي عصفت بأهلها ، وقد أبصرت الشاعرة قومها يتشردون في الدروب ويهيمون في الفلوات ، يطاردهم البؤس ويتخطفهم الردى ويضنيهم الأسى والحرمان .

ورابعها الرحلات والأسفار التي قامت بها الشاعرة متنقلة بين أقطار آسية وافريقية وأوروبة ، وقد أقامت فترة من الزمن في لندن كما شهدت مؤتمرات الأدب ومهرجانات الشعر التي تتابع انعقادها في الحواضر العربية .

يضاف الى ذلك شغف الشاعرة بالقراءة وعمق ثقافتها العربية واطلاعها على روائع الشعر وعيون الأدب في عصوره المختلفة وتأثرها بالتيارات الفنية المختلطة والمذاهب الشعرية والنقدية المعاصرة ، عدا موهبتها الأصيلة التي فطرت عليها .

وفي الديوان الأول نلمح عاطفة الحزن مخيمة على كثير من القصائد . وهي قد اهدت ديوانها الى روح شقيقها ابراهيم الذي قصفت يد المنون حياته وهو في نضارة الصبا . فأحدث موته في قلبها فجيعة وجيعة جعلتها تصوغ من ذوب قلبها الدامي ومن دموع عينيها المتفطرة، القصائد الباكية التي تزخر باللوعة وتفيض بالألم .

وكما بكت الخنساء أخاها صخرا بكت فدوى شقيقها ابراهيم وحزنت عليه حزنا أحال حياتها الى مأتم دائم . فهي تقول من قصيدة عنوانها « حياة » تصوّر فيها حياتها ، بأنها دموع وقلب ولوع ، وانها أسى وألم ، وأنها تمر أمامها كحلم تتراءى فيه أطياف أحبائها الذين طواهم الموت ، فتغرّق بسيل دموعها وسادتها .

وبعد أن تناجي روح والدها تتجه الى روح شقيقها ابراهيم فتقول :

وفي ليل سهدي
يحرك وجدي
أخ كان نبع حياة وحب
وكان الضياء لعيني وقلبي
وهبّت رياح الردى العاتيه
وأطفأت الشعلة الغاليه
وأصبحت وحدي
ولا نور يهدي
أجلج صبري بهذا الوجود

وأقف لحظة عند هذا المقطع لأسجل للشاعرة ابداعها في تطويع اللغة ، وتكوين الصور ، والتلوين الموسيقي ، ورقة الألفاظ وعذوبتها وجمال وقعها في الأذن .

وفي المقطع التالي تبكي الشاعرة حياتها فتقول من القصيدة نفسها :

وهذا شبابي
أمان كوابي
شباب سقاه الأسى ورواه
إذا ما دعته اليها الحياه
وأشواقها ، شده ألف غلّ
وطوقه ألف طوق مذل
شباب عذاب
رهين اغتراب
يضيع شذاه بأسر القيود

ولكن هل ظل شباب فدوى أماني كابية ؟ وهل ظل يشرب حتى يرتوي من الأسى ؟ لا . أست الأيام جراح فدوى ، وتفتح قلبها للحياة وأخذت ترتشف كؤوس السعادة والهناءة وتنتشي بآلاء البهجة والسرور . ولعلّها كانت أصدق شاعرة عبّرت عن عاطفتها بشجاعة وتحدثت عن أحاسيسها ومشاعرها الذاتية بصراحة . لقد التقت الشاعرة بمن جعل حياتها جنة وارفة الظلال وانتشلها من التيه والغربة والضياع .

فهي تقول من قصيدتها الموسوعة « من الأعماق » :

سرت وحدي في التيه ، لا قلب
يهتز صدى خفقة بقلبي الوحيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل
غير يأسي ووحدتي وشرودي

* * *

والتقينا ، لم أدر أي قوة
ساقتك حتى عبرتَ درب حياتي
كيف كان اللقاء من ذا هدى
خطوك ، كيف انبعثت في طرقاتي

* * *

فاذا بالحياة عارمة النبض
يفيض الحنين بالأشواق
واذا بالجمال يعكس ألوان
رؤاه على مدى آفاقي
واذا بي في ظل حب
عظيم معجز السحر مبدع خلاق

وكما أجادت فدوى وأبدعت في التعبير عن عاطفة حزنها وأساها ابدعت في التعبير عن عاطفة حبها وتصوير بهجتها الغامرة وسعادتها بهذا الحب . وفي الديوان الأول قصائد تتحدث عن هذه العاطفة تحت العناوين الآتية : « في درب العمر » ، « من الأعماق » ، « غب النوى » ، « الى صورة » ، « قصة موعد » . على حين يزداد عدد هذه القصائد في الديوان الثاني مثل القصائد المعنونة « ذكريات » ، « وانتظرني » ، « لا انفصال » ، « هل تذكر » ، « كلما ناديتني » .

والى جانب هذه القصائد في ديوان « وجدتها » نجد ملحمة شعرية عنوانها « هو وهي » ، وهي قصة استغرقت خمسين صفحة من الديوان تروي قصة عاشقين ربط الحب بين قلبيهما بأقوى رباط .

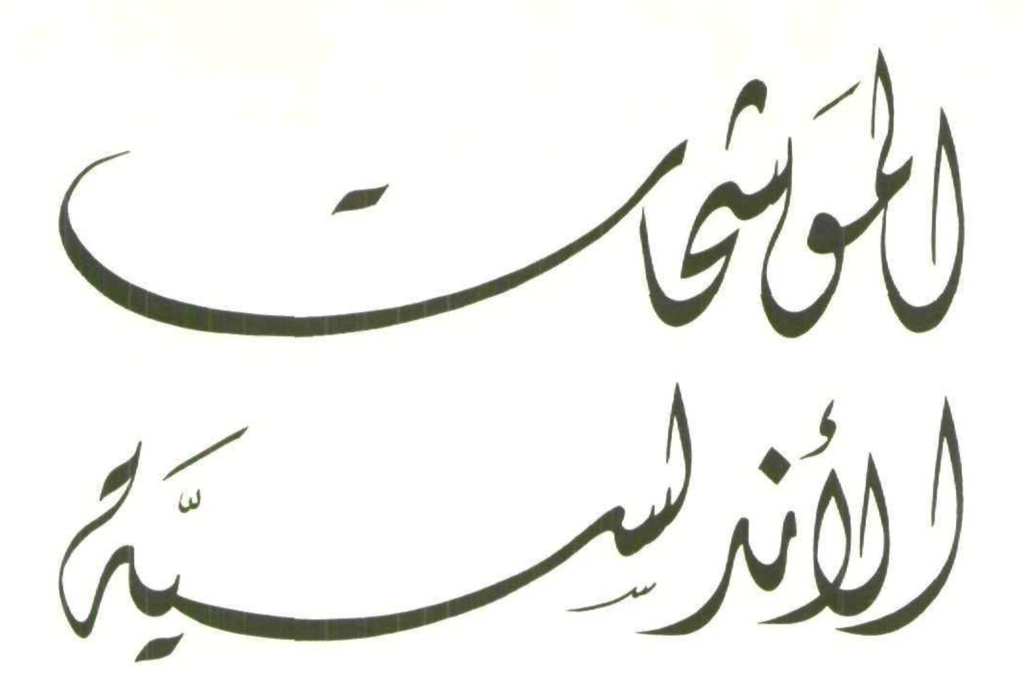
على أن فدوى وهي شاعرة يغلب على شعرها الطابع الرومانسي ، لم تقصر فنها على الرومانسية ، بل اتجهت الى الواقعية في بعض الأحيان ، وخرجت من نطاقها الذاتي الى النطاق العام . وعاشت حاضر جماعتها ومستقبلها وعبرت عن عواطفها وأحاسيسها . ونلمس ذلك في شعرها الحماسي بتياراته المختلفة . ومن ذلك شعرها الاجتماعي في قصيدة عنوانها « مع سنابل القمح » وردت في ديوانها الأول .

والواقع أن الشعر الحماسي عند فدوى بتياراته المختلفة ، يحتاج الى دراسة مستقلة ، على أنه ينبغي لنا أن ننوه بملحمتها الرائعة « نداء الأرض » التي صدّرت بها ديوانها الثاني .

وان الطاقة الشعرية الضخمة التي تبدع في الشعر الغنائي والشعر الحماسي لجديرة بالتقدير والاعجاب ، وان الموهبة الفنية التي وهبها الله للشاعرة فدوى قد مكنتها من التحليق في الأجواء الشعرية المتعددة .

ولقد كنا نتمنى لفدوى أن تسير في الخط الشعري الذي سارت عليه في بداية حياتها الشعرية وفي أولى مراحل شاعريتها من حيث الشكل ، ونعني بذلك أن تسير على الشكل العمودي المعتمد على وحدة الوزن في القصيدة الواحدة مع وحدة القافية حينا وتعددها أحيانا . ولكننا وجدنا الشاعرة تخرج عن هذا الخط وتنظم طائفة من القصائد على طريقة الشعر الحر . ولسنا نعرف الدافع الذي حدا بالشاعرة الى تغيير اتجاهها ، أهو مجرد مجاراة الشعراء أو التجديد في شكل الشعر ؟ على أننا نستبعد أن يكون سهولة النظم .

ان فدوى شاعرة مجيدة ، ومستقبلها أكثر اشراقا من ماضيها المشرّف .



بقلم الاستاذ محمد الزغاري

كل لون من الألوان الأدبية المستجدة في عصر من العصور هو نتيجة تفاعل عوامل مختلفة تلاقت في ذلك العصر . وما كان لهذا الفن أو ذاك أن يأخذ طريقه في الحياة لولا أن تفاعلت تلك العوامل ووقعت تلك المصادفات ، ولكن مقدرة الانسان الفكرية تعجز عن ملاحظة هذا التطور البطيء ، والتفاعل الخفي ، والنمو التدريجي لفن من الفنون . ولا نصحو الا حينما يكون ذلك الفن تام الخلقة يجري على ألسنة الشعراء والكتاب ويستهوي العامة ، ويجلب انتباههم ، فيأخذ حينئذ العلماء المختصون بدراسة ظواهره ويستقرونها ، ويحاولون الكشف عن العوامل التي مهدت له بعد أن يكون كثير منها قد واراه النسيان وغاب في المجهول .

تغنى الناس بالموشحات الأندلسية في مجالس أنسهم ، واستحسنوا منها ما استحسنوا ، وذموا ما استقبحوا منذ نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع للهجرة . وحينما فكروا في الكشف عن مصدرها ، قام الباحثون بتدوين ملاحظاتهم . ولكنهم لم يخرجوا من هذا التدوين بمغنم كاف أو رأي شاف ، لأن البحث لا يزال موغلا في الغموض ، لأن كثيرا من لغات ذلك العصر ، حيث أنها لم تكن مدونة ، لم يعد لها وجود في عصرنا الحاضر .

معنى الموشح وتعريفه

يرجع الباحثون اشتقاق هذه الكلمة الى أحد شيئين :

اما الى الوشاح وهو سير من الجلد أو ما شابهه غالبا ما يكون مرصعا بالجواهر .

وأما الى التوشيح الذي يعني في اللغة التنميق .

فالموشحات لون من ألوان النظم ظهر أول ما ظهر في الأندلس في عهد الدولة المروانية . ويختلف عن غيره من أنواع النظم بالتزامه قواعد معينة من حيث التقفية ، وبخروجه أحيانا عن العروض الخليلية ، وبخلوه أحيانا من الوزن الشعري ، وباستعماله اللغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه ، وباتصاله الوثيق بالغناء .

أقسام الموشح وأجزاؤه

قال عبادة بن ماء السماء في أحد موشحاته :

من ولي   في أمة أمرا ولم يعدل   يعزل الا لحاظ الرشاء الأكحل
جرت في   حكمك في قتلي يا مسرف
فانصف   فواجب أن ينصف المنصف
وارأف   فان هذا الشوق لا يرأف

لقد بدىء هذا الموشح بأجزاء أو قسيمات أربع ذات قافية واحدة هي « اللام المكسورة » ، وتسمى هذه الأجزاء مجتمعة بالمطلع أو المذهب .

وقد يأتي المطلع من جزأين فقط ، لكل جزء منها قافية خاصة كما في هذا المطلع :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى   ألم الوجد فلبت أدمعي

وقد يكون للجزئين قافية واحدة . وقد يزيد المطلع عن بيت واحد الى بيتين كما نرى في موشحة ابراهيم بن سهل الأندلسي .

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى   قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما   لعبت ريح الصبا بالقبس

فإذا جاء وراء هذا المطلع أبيات أخرى وجاء بعدها أجزاء تشبه المطلع قافية ووزنا ، سميت هذه الأجزاء بالأزمة كما في موشحات لسان الدين بن الخطيب :

جادك الغيث اذا الغيث هما   يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك الا حلما   في الكرى أو خلسة المختلس
اذ يقود الدهر أشتات المنى   ينقل الخطو على ما نرسم
والحيا قد جلل الروض سنا   فثغور الزهر منه تبسم

ثم يتكرر ما يشبه المطلع ، وهو ما يسمى باللازمة .

والموشح الذي يبدأ بمطلع يسمى تاما ، والا فهو أقرع . واذا تكررت أجزاء تشابه المطلع قافية ووزنا فهذا هو « القفل » . والخرجة هي آخر قفل في الموشح . ويشترط الوشاحون فيها أن تكون عامية اللفظ سخيفة المعنى . والدور هو ما يعقب المطلع من الأقسمة .

وزن الموشح واستعراض لتطور الأوزان في الأشعار العربية

منذ أن مال العرب الى لين العيش في العصر العباسي وانتشرت مجالس الغناء ، مال الشعراء الى الأوزان السهلة الخفيفة التي كانت مهملة في العصر الجاهلي ، وأكثروا من المجازىء والزحافات والعلل ، وبالغوا في ذلك حتى اكتفوا بتفعيلة واحدة ، كقصيدة سلم الخاسر في مدح موسى الهادي :

موسى المطر : غيث بكر : ثم انهمر ..... الخ

وقد خرج بعض شعراء العباسيين أحيانا عن أوزان العروض كأبي العتاهية الذي قال « أنا أكبر من العروض » .

لقد تطورت القصيدة العربية تطورا لم يخرجها عن بحور الخليل ، أما الموشحات فقد طفرت طفرة واحدة ، وتعمد الوشاحون ذلك تعمدا ، حتى أنهم كانوا ينفرون من الموشحة التي استقامت على الوزن التقليدي ، ويعدون ذلك عملا لا يفعله الا الضعاف من الشعراء . ومن الموشحات نوع ليس له وزن يعرف بالسمع والقراءة بل بالتلحين والغناء .

فهل نعتبر الموشحات تطورا طبيعيا للقصيدة العربية بدأ في صحراء الجزيرة وانتقل الى بغداد ، ثم ظهر فجأة بهذا الشكل في الأندلس ؟ واذا كان كذلك فما هو عامل التطور ؟ ولم لم يحدث في غير هذا الزمان والمكان ؟

تطور القافية في القصيدة العربية

نظم العرب أول ما نظموا الجزء المفرد كما نرى في هذه الأرجوزة :

ما تبتغي الحرب العران مني : بازل عامين صغير سني : لمثل هذا ولدتني أمي ....

وقد كانت هذه الطريقة في التقفية خاصة ببحر الرجز ، ثم انتقلت الى غيره من البحور .

ثم تلت هذه الخطوة خطوة أخرى بظهور الأرجوزة المزدوجة التي استعملت في أغراض تعليمية ، ومن ذلك :

الحمد لله ولي الحمد احمده في يسرنا والجهد
واشهد في الدنيا وما سواها أن لا اله غيره الها

وتبع ذلك الشعر السمط ، الذي هو عبارة عن شعر تتابع فيه قواف فرعية مختلفة العدد ، ولا تزيد عن ثمانية الا نادرا ، الى جانب قافية واحدة ثابتة تسمى عمود القصيدة ، ومن ذلك :

دم العشاق مطلول ودين الحب ممطول وسيف اللحظ مسلول ومبدى الحب معذول فبح يا أيها الكاتم . والقافية الميمية هنا هي عمود هذه المسمطة .

فإذا أخذنا موشحا بسيطا ومسمطا خماسيا وجدنا هناك بعض الشبه . فهل نعتبر ظهور المسمطات ارهاصا لظهور الموشحات ؟

الغناء وأثره في ظهور الموشحات

لقد ذهب كثير من الباحثين الى أن الغناء عامل أساسي من عوامل ظهور الموشحات ، والحقيقة أن الغناء والشعر متلازمان في المنشأ ، وقد عبر عن ذلك حسان بقوله :

تغن بالشعر اما كنت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وفي العصر العباسي أصبح تأثير الغناء على الشعر واضحا ، حيث سهلت أوزانه ، وصفت لغته حتى قاربت المألوف ، فسلس شعر أبي العتاهية وأبي نواس وغيرهما ، وطرقوا مواضيع تتعلق بالغناء .

أما في الأندلس فقد حدث تطور كبير في الغناء بانتقال زرياب اليها حيث لم يلبث تلاميذه وتلميذاته أن انتشروا في كافة أنحاء الأندلس ، ووجد الشعراء أنفسهم أمام حاجة ماسة لسد حاجة المغنين بشعر خفيف على السمع مستساغ للفهم .

بداية الموشحات وأصلها

يرجع بداية الموشحات على وجه التقريب – لا التحديد – الى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري . وقد تضاربت الآراء حول مبتكر الموشحات فقال ابن خلدون في مقدمته ان مخترعها هو مقدم بن معافر الفريري القبري ، من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني . أما ابن بسام فيعزوها الى محمد بن محمود القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني نفسه. وقد جاءت لكل منهما ترجمة تفيد أن الاسمين لشاعرين مختلفين لا لشاعر واحد ، وليس بمستبعد أن يستنبطا أكثر من شاعر .

ولقد رأينا كيف أن الأوزان الشعرية والقوافي أصابها التطور والتغيير ، فهل نستطيع أن نعتبر الموشحات مرحلة من مراحل تطور المسمطات كما ذهب اليه بعض المستشرقين ؟ فإذا صح هذا فالمشارقة أقدر على تطوير المسمطات ، ثم ما هو السر في ضرورة استعمال الألفاظ العجمية والسوقية في الخرجة ؟

بقي احتمال أخير ألا وهو ما تردد على ألسنة كثير من المستشرقين من أنها ترجع الى الشعوب الأعجمية التي جاورها المسلمون في الأندلس . فالأستاذ « ترند » يجزم أن أصلها لهجة «ايبيرية» وذهب الأستاذ « نيكل » الى أن الشعر الغنائي الذي كان ينشده شعراء « التروباد » يشبه الموشحات الأندلسية .

والذي نستطيع أن نقوله بشيء من التأكد أن الموشحات ليست مشرقية الأصل بل غربية الطابع ، ومما يؤيد هذا عدم سيرها على نغم شرقي ، ودخول كثير من الألفاظ العجمية والسوقية فيها ، ثم عجز الشرقيين حتى بعد اختراع الموشحات أن ينسجوا على منوالها إلا بعد تكلف شديد ، كما لاحظ ذلك ابن خلدون في مقدمته .

موقف النقاد القدامى من الموشحات

اذا راجعنا أسماء أشهر الوشاحين في العصور الأندلسية أمثال محمد بن محمود القبري الضرير ، ومقدم بن معافر القبري السالفي الذكر اللذين اعتبرهما مؤرخو الأدب الرعيل الأول من الوشاحين ، أو مثل يوسف بن هارون الرمادي ، أو عبادة بن ماء السماء ، وغيرهم ، وجدناهم ليسوا من الفحول أمثال ابن هانيء الأندلسي ، أو ابن دراج القسطلي ، أو ابن شهيد ، أو ابن زيدون ، والمعتمد بن عباد ، وغيرهم . فهل عجز هؤلاء الفحول أن يأتوا بما أتى به من هم أقل منهم درجة في فن الشعر ؟ أم أنهم وجدوا في قصائدهم التقليدية ما يغنيهم عن التفكير في هذا النوع من النظم الذي كان ضربا من التهازل والتماجن ؟؟

وليس فحول الشعراء السالفو الذكر وحدهم هم الذين ازدروا هذا الفن المستحدث بل لقد ازدراه أيضا أنصار الشعر التقليدي من العلماء والكتاب وترفعوا عن ايراده في مؤلفاتهم . فهذا العقد الفريد بأكمله كتاب يكاد يخلو من أدنى اشارة للتوشيح ، وكذلك بن بسام في ذخيرته . أما الفتح ابن عبد الله القيسي فكان أشد احتقارا للموشحات ، اذ لم يشر اليها أدنى اشارة في كتابه « قلائد العقيان ومطمع الأنفس» والمقري حينما أدخل الموشحات في كتابيه « نفح الطيب » ، و « أزاهير الرياض » ، اعتذر لمن يعتبر هذا مأخذا عليه ، وذكر أنه يعتبره من باب ترويح القلب ، وأن غرضه من هذا ليس فاسدا .

أغراض الموشحات وخصائصها الفنية

طرقت الموشحات كافة الأغراض التي طرقتها القصيدة العربية كالغزل ، والمجون ، والمدح ، والفخر ، والهجاء ، وغيرها ، وتناولت أيضا فن الزهد ومديح الرسول الكريم .

أما لغة الموشحات فبسيطة ، وألفاظها ركيكة تميل الى العامية ، وبعضها أعجمية مما يناسب لغة الغناء . والتشبيه في الموشحات تقليدي حسي ، يصف الجمال حيث يجده في الطبيعة والانسان ، ويحاول أن يشبه أحدهما بالآخر ، فالصبايا أغصان تتمايل ، والخدود ورد وتفاح ، الى آخر هذه الأوصاف الحسية التقليدية .

وتخلو أفكار الموشحات من كل جدة ، إذا أخذت الأفكار القديمة وألبستها لباسا جديدا ، وهي تخلو من النظرات الفلسفية العميقة . أما المعاني فتدور حول الغزل والمجون .

مما تقدم نرى أن الأندلسيين اهتموا في موشحاتهم بالمظهر دون الجوهر فلم يستغلوا تحررهم من قيود الشعر ويقدموا للشعر العربي تراثا خالدا ، كالملاحم والمسرحيات .



العاملون في المختبرات الطبية

اذا اعتبرنا أن الممرض ساعد الطبيب الأيمن ، فلا بد أن نعتبر أن فني المختبر هو ساعده الأيسر ، وانه لا غنى للطبيب عن الاستعانة بخدماته في تشخيص الأمراض لتحديد أنجع الوسائل لعلاجها . وليست خدمات فني المختبر الطبية مقصورة على الطبيب فحسب . بل نجد أن العاملين في حقل الصحة العامة . كالمهندسين والمراقبين الصحيين وغيرهم يستعينون بخدماته بين الفينة والأخرى ليتسنى لهم معرفة ما اذا كانت جهودهم المبذولة في خدمـــة المجتمع قد أعطت نتائج حسنة مرضية .

ما هو المختبر الطبي ؟

المختبر الطبي هو المكان الذي تفد اليه مختلف العينات المنوي فحصها من دم ، وخلايا ، وبول ، وبراز ، وماء ، وطعام ، وخلاف ذلك ، وتجرى فيه الفحوصات المطلوبة كي يعمد المختصون على ضوئها الى معالجة المرض أو الحيلولة دون انتشاره . وتنقسم المختبرات الطبية حسب نوع الأعمال التي تؤديها الى قسمين : مختبرات الطب العلاجي التي تتناول العينات الواردة من المستشفيات ، والتي تؤخذ عادة من المرضى والمصابين . ومختبرات الطب الوقائي التي تقوم بفحص عينات المـاء ، والحليب ومشتقاته ، والأطعمة المختلفة ، وغير ذلك مما يرد اليها من مختلف وحدات الطب الوقائي .

المختبرات الطبية في أرامكو

ولدى الادارة الطبية في أرامكو مجموعة من المختبرات الطبية ، أحدها مختبر الطب الوقائي ، ويتبع اداريا لوحدة الصحة البيئية في قسم الطب الوقائي . والبقية بمجموعها تكون وحدة الخدمات الباثولوجية التي تتبع اداريا قسم الطب العلاجي . وتتكون وحدة الخدمات الباثولوجية من مختبر الكيمياء الخاصة ومختبر الطفيليات ، ومختبر الأنسجة الحية ، ومختبر الكيمياء ، ومختبر السل ، ومختبرات العيادات ، ومختبرات أجنحة المستشفى وبنك الدم . وسنلقي ضوءا على هذه المختبرات قدر المستطاع في الأسطر القليلة التالية :

مختبر الطب الوقائي

ويضطلع بمهمة اجراء الفحوص على العينات التي ترد اليه من مختلف وحدات قسم الطب الوقائي . وبعض العينات التي ترد اليه من قسم الطب العلاجي . فيقوم هذا المختبر باجراء التحاليل والفحوص المجهرية على عينات المياه ، والألبان ومشتقاتها وبعض الأطعمة ، من جهة ، وعلى عينات الدم والبول والبراز ، تحريا عـــن الملاريا والبلهارسيا والتسمم بالرصاص وغيرها من الأمراض الوبائية والشائعة ، من جهة أخرى . وبالاضافة الى ذلك . يقوم فنيو هـــذا المختبر بدراسات تتعلق ببعض الأمراض المعدية التي يسببها الفير وس مثل الانفلونزا . والتهاب الغدة النكافية وغيرها . وهكذا نرى ان عمل هـــذا المختبر يشمل التحاليل الجرثومية ، والكيماوية ، والطفيلية ، والسير ولوجية .

مختبر الكيمياء الخاصة

ومهمة هذا المختبر اجراء جميع الفحوصات المستحدثة التي تضيفها وحدة الباثولوجيا عـــلى أعمالها . مثل الدراسات التي تجريها عـــلى الهرمون وخلاف ذلك . وعلاوة على ذلك يقوم باجراء جميع الفحوصات المتعلقة بالنظائر المشعة ، ولا سيما الفحوصات الروتينية التي تجرى على الموظفين الذين يتعرضون باستمرار للاشعاع .

لمعرفة مقدار تعرضهم له ، والعمل على ضوء ذلك على اتخاذ الاحتياطات الضرورية لوقايتهم منه .

مختبر الأنسجة العضوية الميتة

ومهمة هذا المختبر تلقي عينات الأنسجة العضوية التي ترد اليه من جناح الجراحة وغيره . ومعالجتها بمواد كيماوية معينة ، ثم صبها في قالب من الشمع لتسهيل عملية قصها . وبعد أن يجمد الشمع ، يعمد الى قص العينات على آلة قص خاصة تعرف باسم (المايكروتوم Micro Tome) الى رقاق غاية في الدقة ، يبلغ سمك الواحدة منها ٥ ميكرون أي ١/٢٠٠٠ من البوصة الواحدة . ثم تغمس هذه الرقاق في محلول كيماوي يجعلها سهلة الالتصاق على شرائح مجهرية ، وتوضع في فرن خاص مدة نصف ساعة حتى يتبخر الشمع ، ولا يبقى على الشرائح الا الخلايا المنوي فحصها . عندئذ تلون العينات بمجموعة من المحاليل الكيماوية ، وترص في محمل خاص بانتظار ان يفحصها خبير البوثولوجيا .

بالاضافة الى ما ذكرنا يقوم هذا المختبر أيضا بحفص عينات التفل المأخوذة من المرضى الذين يشك في اصابتهم بالسرطان ، وكذلك بفحص العينات التي توءخذ من العظام لمعرفة ما اذا كان نخاع العظم ناشطا في تزويد الجسم بكريات حمراء جديدة بدل التي تموت . وفي هذا المختبر ، يجري أيضا دراسة تركيب الكريات الحمراء ، وفحص العينات التي توءخذ من الأنف والعين ، وفحص عينات الخلايا تحريا عن السل والأمراض الفطرية ، الى غير ذلك من الفحوصات التي لا تجرى في المختبرات العادية ، والتي يجريها عادة اخصائي الباثولوجيا .

مختبر الكيمياء

وهو المكان الذي تجرى فيه الفحوصات على عينات الدم ، والبول ، والعصارة المعوية ، والأنسجة الحية ، وغيرها ، لمعرفة مدى احتوائها على مواد كيماوية قد يسبب وجودها بكميات معينة في الجسم ضررا صحيا يجب العمل على علاجه أو تلافيه . وتجرى الفحوصات الكيماوية عادة بطريقتين : الأولى باضافة مواد كيماوية الى جزء معين من كل عينة منوي فحصها ، ثم مراقبة تغير ألوان العينة ، أو مقارنة اللون الناتج بلوحة الألوان الخاصة بكل تجربة في جهاز ضوئي خاص . هذه الطريقة تعتمد على النظر ، وليست غاية في الدقة وانما تعطي نتائج مقبولة . والثانية هي الطريقة التي تعتمد على قياس كمية الغاز الناتج أثناء التفاعل الكيماوي .

مختبر الطفيليات

وتفحص في هذا المختبر عينات الغائط الواردة من مرضى المستشفى ومن المترددين على العيادات ، وذلك لمعرفة خلو هذه العينات من الطفيليات أو بيوض الديدان المعوية أو وجودها فيها مع معرفة نوع الطفيليات حسب صفاتها البادية . ويجرى فحص العينات تحت المجهر بعد أن



جانب من مختبر الطب الوقائي بالظهران وقد بدا فيه الفنيون منهمكين في بعض أعمالهم اليومية .

نتائج فحوص العينات تقرأ في مختبر الكيمياء بواسطة أجهزة بصرية خاصة .

تكنولوجي طبي يقوم بقص عينة من الأنسجة الحية بواسطة «المايكروتوم» .

توضع على شرائح مجهرية ، وتلون ، تبعا للفحص المطلوب .

مختبر علم الجراثيم

وترد اليه عينات الدم ، والبول ، واللعاب ، والبراز ، المأخوذة من المرضى الذين يشك الطبيب في اصابتهم بمرض جرثومي ، أو الذين جرت معالجتهم من مرض جرثومي للتأكد من شفائهم التام . هذه العينات تزرع في صحون مخبرية مستديرة الشكل في وسيط معين يختلف باختلاف الفحص المطلوب اجراؤه . وتترك الصحون في درجة حرارة ملائمة لنمو الجراثيم مدة يوم كامل أو أكثر ، فتتكاثر الجراثيم الموجودة في العينة وتكوّن كل واحدة منها مستعمرة خاصة بها .

ويختلف شكل المستعمرات باختلاف أنواع الجراثيم ، وهكذا فان خبير التقنية الطبي (Medical Technologist) يستطيع تخمين نوع الجرثومة الموجودة في العينة لدى النظر الى هذه المستعمرات . وللتأكد من صحة تخمينه يضع بعضا من هذه الجراثيم على شريحة من الزجاج ، ثم يضع عليها نقطة من محلول كيماوي يعرف باسم مولد المضادات ، فاذا كانت الجراثيم من النوع الذي ظنه الخبير ، تفاعلت هذه الجراثيم مع المحلول الكيماوي مكونة شكل مستحلب . اما اذا كانت الجراثيم مغايرة لما ظنه فلا يحدث أي تغيير في المحلول الكيماوي ، وعندئذ يستخدم محلولا كيماويا آخر يتفاعل مع نوع آخر من الجراثيم حتى يتأكد من النتيجة .

ومعلوم ان بعض الجراثيم تكتسب مقاومة ضد بعض أنواع العلاج . وهنا يأتي دور المختبر في تقرير نوع العلاج الناجع ، فيقوم بزراعة الجرثومة في الوسيط الملائم ، ووضع قليل من مختلف الأدوية المبيدة في مختلف زوايا الوسيط . وبعد مضي فترة معينة على زراعة الجراثيم ، نجد ان كل جرثومة قد نمت وكونت مستعمرة حولها في مختلف زوايا الصحن ، ما عدا الزوايا التي يكون فيها الدواء ناجعا فتكون خالية من الجراثيم والمستعمرات .

مختبر الدم

ترد عينات الدم الى هذا المختبر ، لفحص لونه ، وعدد الكريات الحمراء والبيضاء فيه ، وقياس سرعة جريانه وترسبه وتخثره ، وقياس كميته في الجسم . كما يجري فحص تركيب الدم ، علاوة على فحصه مجهريا للتأكد من خلوه من طفيليات الأمراض الوبائية .

وبالاضافة الى ما تقدم يقوم المختبر بفحص عينات الدم للتأكد من عدم اصابة أصحابها بفقر الدم ، فيتحرى عن كمية الخضاب (Hemoglobin) فيه ، وعما اذا كانت هنالك عوامل تسبب قصر عمر الخلايا الحمراء فيه ، وعما اذا كان مصابا بمرض الخلية المنجلية ، وغير ذلك من الأمراض التي تسبب فقره .

مختبر الأمصال

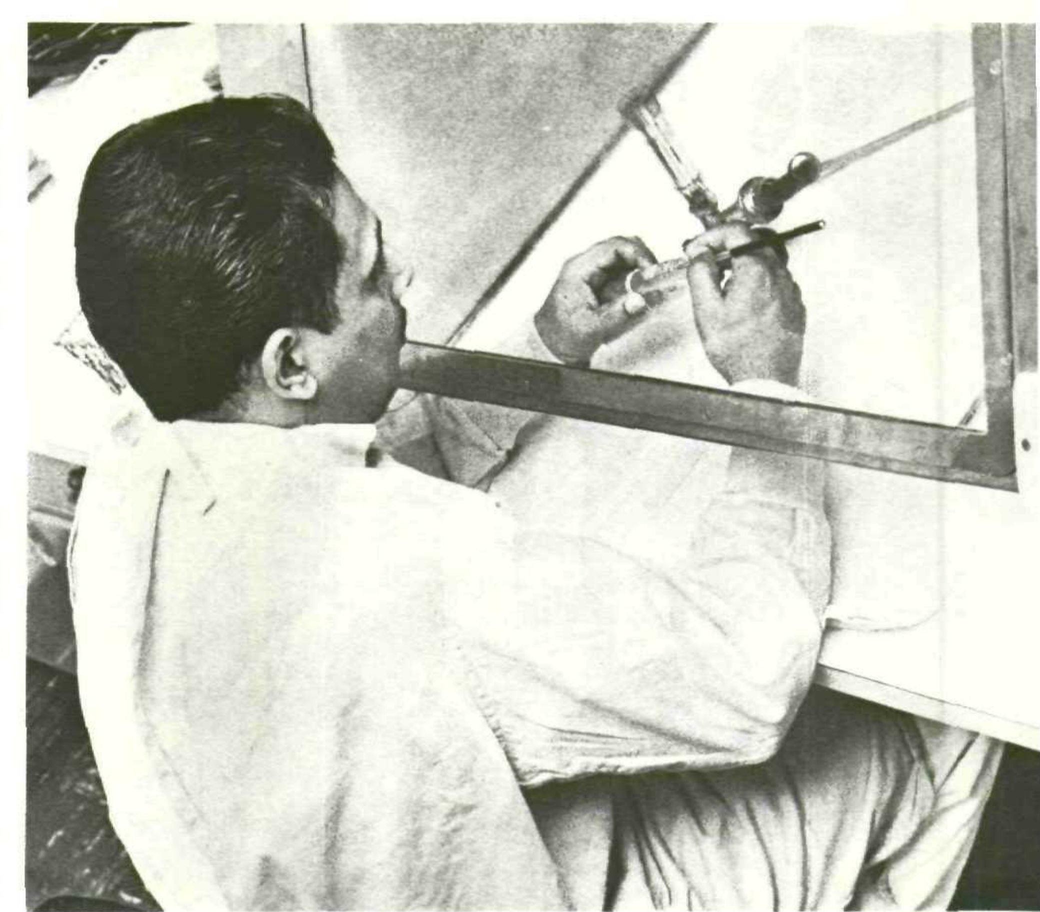
ويتناول هذا المختبر أيضا عينات الدم ، ولكن لحالات خاصة معينة ، مثل أمراض السفلس وأمراض الغدة الدرقية ، فيقوم بفصل المصل عن بقية محتويات الدم ، وذلك باستخدام آلة الدوران المركزي ، ثم يعالج الدم بمواد كيماوية معينة تدعى (Reagent) لمعرفة ما اذا كان سالبا أو موجبا ، اي مصابا بالمرض الذي أجري الفحص من أجله .

بنك الدم

ويعتبر بنك الدم في أرامكو مختبرا تابعا لوحدة الباثولوجيا ، وقد سبق ان تناولناه باسهاب في (عدد محرم ١٣٨٧ من قافلة الزيت) . وتلخص أعماله بجمع عينات الدم من المتبرعين وحفظها سليمة مأمونة لحين الطلب .

مختبرات العيادات

بالاضافة الى المختبرات التي سبق ذكرها ، تتبع وحدة الباثولوجيا مختبرات ثانوية عديدة ، هي مختبرات العيادات – وعددها خمسة – ومختبر أجنحة المرضى . وفي هذه المختبرات يجري جمع عينات الدم ، والبول ، والبراز ،



في مختبر السل تؤخذ جميع الاحتياطات لوقاية الفنيين العاملين فيه من الاصابة بالعدوى ، فيرتدون فوق ثيابهم مريولا نظيفا يخلعونه ساعة خروجهم ، ويقومون بالفحص خلال حاجز زجاجي .

والتفل ، وغيرها وارسالها الى المختبرات المختصة لاجراء الفحوصات اللازمة عليها . وفي الوقت نفسه تجرى الفحوصات الروتينية على عينات البول والدم ، كفحوصات مرض البول السكري ، والخضاب الذي يجرى للحوامل ، وغير ذلك .

موظفو المختبرات وأعمالهم

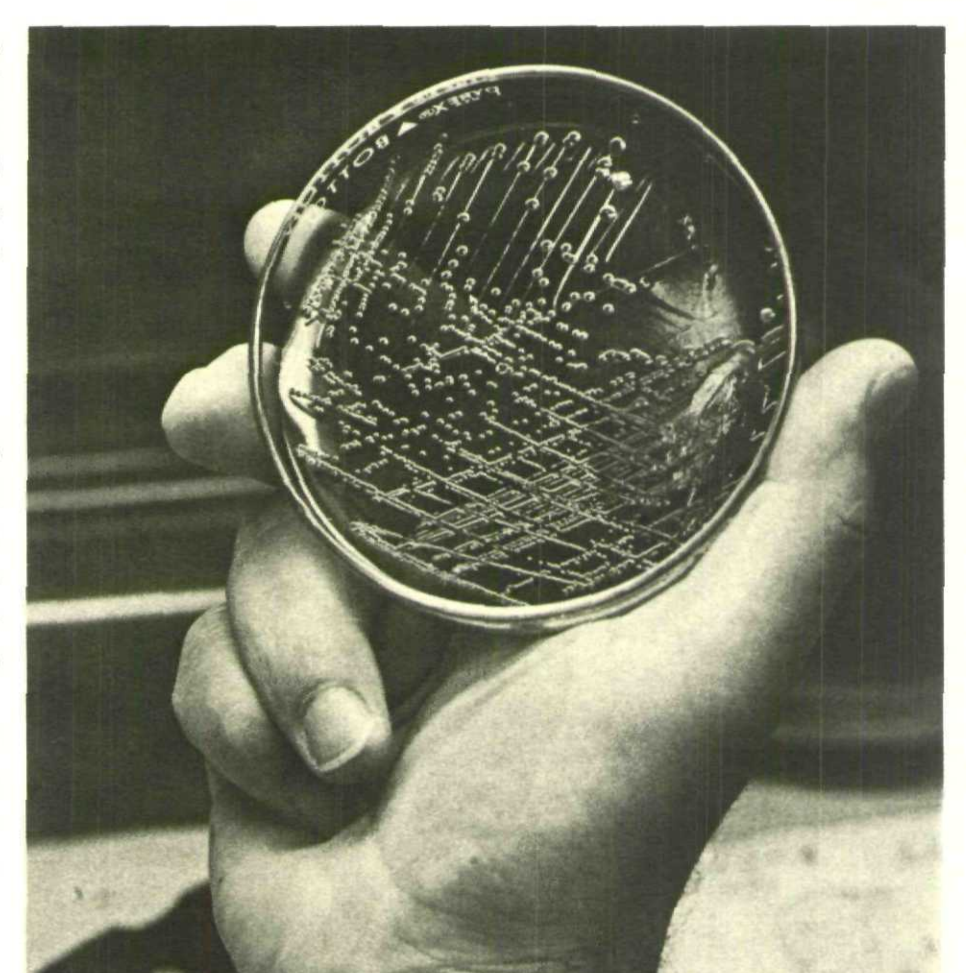
ويعمل في وحدة الباثولوجيا أخصائي في فن الباثولوجيا ، وسبعة من كبار خبراء التقنية الطبيين ، و ٣٨ خبير تقنية طبيا ، و ٢١ فني مختبر ومساعد فني مختبر . أما عدد موظفي مختبر الطب الوقائي فيبلغ خمسة ، هم خبيرة تقنية طبية عليا ، وخبيرا تقنية طبيان . وفني مختبر ، ومساعد فني مختبر .

بيد اننا اذا نظرنا بعين الأرقام الى أعمال هذه المختبرات نجد أن مختبر الطب الوقائي يقوم بتحليل حوالي ألف عينة في الشهر ، بينما تقوم مختبرات وحدة الباثولوجيا مجتمعة بتحليل ما معدله ١٤٨٩٠ عينة في الشهر .

قسم أبحاث التراخوما

وأخيرا وليس آخرا لا بد لنا من أن نأتي على ذكر مختبر أبحاث التراخوما الذي يعتبر من أهم مختبرات قسم الابحاث الطبية في أرامكو ، والذي يعمل متعاونا مع مختبر أبحاث التراخوما في جامعة « هارفرد » في الولايات المتحدة الأمريكية . ويعنى أطباء هذا المختبر وخبراؤه التقنيون باجراء البحوثات المتوالية لمعرفة المزيد من المعلومات عن سبب مرض التراخوما ، وتشخيصه ، ومعالجته ، وطرق الوقاية منه . وقد استطاع هذا المختبر خلال سنواته العشر التوصل الى ايجاد لقاح واق من هذا المرض جرب عمليا على آلاف الأطفال ، فكانت نتائجه مشجعة ، الا انه يحتاج الى مزيد من التحسينات قبل أن يصبح بالامكان استخدامه عالميا . ونظرا لأهمية هذا المختبر سنوليه ان شاء الله مقالا مسهبا منفردا في عدد لاحق من القافلة .

عصام العماد



تكون كل جرثومة بعد زراعتها مستعمرة خاصة قائمة بذاتها وفي الصورة تبدو المستعمرات



الدكتور « آرثر بوب » طبيب العيون المختص في قسم أبحاث التراخوما ، يأخذ عينة من عين أحد الأطفال .

تصوير : سعيد الغامدي

صغيران

للشاعر محمد احمد العزب

.. وبيْن ملاحنِ الأعصار .. والأنواء .. والمطرِ
تلعثمَ في دروب التّيه طفلٌ نائحُ الوترِ
يغنّي .. للدجى .. للصمت للأطلال .. للشجرِ
لكلّ الكائنات .. لقلبها المجبول من حجر
وفي كفيه منديلٌ حزينٌ .. دامع القدر
كم استجدى به .. ومشى جريحا مطرقَ الخفَر

وخلف الطفل .. كانت طفلة تحبو .. وتنهزمُ
شقيقته ؟ أظنّ .. ففي ملامحها رُؤىً ودمُ
وأطيافُ ابتساماتٍ يلفّ شبابها العدمُ
وعبر جفونها السمراء يصحو السهد والألمُ
وترتجّ الدموع على محاجرها .. وترتطمُ
وفوق ذراعها خِرَقٌ ممزّقة بها لُقَمُ

وتحت شعاع نافذةٍ هناك .. رقيقة الهمْسِ
ينام على سواعدها ستارٌ مترفُ اللّمسِ
ويرقد فوق أذرعها أصيصٌ حالم الغرْسِ
جثا .. وجثتْ .. شريدانِ .. بلا يومٍ .. ولا أمسِ
ينقّرُ في تراب الأرض .. وهْي شليلةُ الحسِّ
وحين تعربد الظلمات يرتميان في يأسِ

ولول في دم الطفليْن إعصارٌ من الحيره
فقاما يبكيان على ربابٍ دامعِ النبْرَه
يقول الطفل : يا ليل .. وتهتف أخته : كِسْرَه
ويرتد الصدى غيمانَ .. لا زادٌ .. ولا قطْرَه
فقد نام الجميع .. سوى مساءٍ ساهر النظره
غناؤهما لِمنْ يا ليل ؟ أرهِفْ للصّدى مرّه !!



الدكتور زكي مبارك

في كتابه "العشاق الثلاثة"

بقلم الاستاذ ضياء الدين رجب

هذا المؤلف قديم للدكتور زكي مبارك – قبل أكثر من عشرين عاما – ولكنه ظهر في طبعة أنيقة هذه الأيام في سلسلة «اقرأ» . والمؤلف شديد الاعجاب بكتابه ، فهو أثير عنده لدرجة أنه تحدى به حيث يقول : «لن يستطيع قلم أن يقول في هؤلاء العشاق كلاما يفوق ما جاد به قلمي . ولو صار الورق أرخص من التراب لما جاز عندي أن يضاف حرف الى هذا الكتاب» . ويقول : «تحدث عن هؤلاء العشاق (فلان وفلان وفلان) ، وتذهب أحاديثهم أدراج الرياح ، ولا يبقى غير كتابي لأني قبسته من نار قلبي ونور وجداني» .

وهو بالفعل كتاب تقطر الحلاوة من عنوانه ، وتسيل الرقة العذبة من بيانه ، وتتحرك المشاعر مع أشجانه ، لأنه يتحدث عن أعنف عشق في أبرز عشاق ثلاثة ، هم : جميل بن معمر ، وكثير بن عبد الرحمن ، والعباس بن الأحنف .

لقد قرأته وأنا عازم ألا أستمتع به فحسب ، بل أتعقب من خلاله حقائق . قصدت أن أعرف مكانها من بحث الدكتور زكي مبارك (يرحمه الله) ، لتأكد المطابقة بين حلاوة العنوان وبين صدق الواقع ومقام التحدي ، الذي نصب له كل الموازين وأطلق من حوله ما تجمع له من براهين . فلنمضي معاً في هذه الرحلة التي نأمل ان تكون ممتعة ومجدية .

ان مقدمة الدكتور زكي مبارك هي ذاتها كتيب ، جال بقلمه في أنحائه وأبعاده ، وخاض في المعاني ، من بعيد أو قريب ، كما حلا له . وقد قال انه كتبها في مصر الجديدة ، وفي اليوم الحادي عشر من يونيو عام ١٩٤٤ . وقال في جزء من أجزائها ان النية عنده لم تتجه الى الحديث عن هؤلاء العشاق الثلاثة الا في عام ١٩٤٠ ، حين دعاه الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين الى انشاء بحثين عن كثيّر ، وجميل ، فصادفت تلك الدعوة هوى من قلبه .

ثم قال انه بـدا له أن يتحدث عن شاعر يشترك مع هذين الشاعرين في الوحدانية في الحب ، والحب عنده كالايمان فيه شرك وتوحيد .

أما أن الدكتور طه حسين هو الذي دعاه لكتابه ، فهذه ميزة تشير الى أن المؤلف قد اعتنى بالأمر ، لأن في هذا التكليف من قبل عميد الأدب العربي تشريفا يحمل المؤلف على أن يكون حقيقا بالدعوة فيضاعف الجهد ويؤكد الثقة . وأحب هنا أن ألمسه لمسة خفيفة حين يقول ان الحب كالايمان فيه شرك وتوحيد .

فهذا ما لم أستطع فهمه ولا أعتقد أن غيري يستطيع فهمه ، **ذلك لأن حقيقة الايمان توحيد محض ، فهو غير قابل للإزدواج الذي يجعل الايمان قابلا لزحمة الشرك ونقيضه . وما كان الايمان ايمانا الا لخلوه من الشوائب قليلها أو كثيرهـا .**

ولقد كنت أود أن أسترسل مع المقدمة ولكني وجدتها تكديس منطوقات ومفهومات ، تصعب فيها المقارنة بين المدلولات المتهافتة ، لهذا آثرت أن أوفر الجهد الى مطارح البحث الصحيح بين مشارق الحب ومغاربه في حياة العشاق الثلاثة الذين محصهم بالدراسة ، وخصهم بمقـام الرياسة في منـازل العشق والعاشقين .

لقد تحدث زكي مبارك عن « كثيّر » أنه فاق انداده في الغزل والنسيب . ولولا تلك الحالات التي غضت من مكانه في أعين الناس لاعترف له معاصروه بالأمانة في التشبيب . وانه شاعر فاتته نضارة الجسم ولم تفته نضارة الروح . وان الادباء الأمويين لم يقدموا عليه الا « جميلا » . ولم يقدموا عليه مثلا الأحوص والحارث المخزومي . ثم يريد الدكتور زكي أن يسلط الضوء على تفوق « كثيّر » وعبقريته ، رغم دمامته ، فيجعل من الدمامة والقزامة وسيلة الابداع ليواري قبحه بمجد العباقرة .

وأنا لست مع زكي مبارك في هذه النظرة ، فانها غض من مقام « كثيّر » من حيث أراد رفعه . فالدمامة شيء . والذكاء في أصل الخلقة شيء آخر . فكم من دميم وكم من معيب لم تحمله هذه النقائص على تلمس المجد والتعويض ، انها هبة الله وحده وتعويضه ما في ذلك شك ولا ريبة ولا اعتراض ، وانما السر كل السر في أصل النظرة ، ووقد الموهبة ، وذكاء الطبع واصالته .

نعم ، لقد أعجبتني الشواهد التي استشهد بها الدكتور زكي مبارك الممثلة في اختياره الرائع للأبيات التي وصف فيها « كثيّر » شمائل محبوبته « عزّة » :

وأعجبني يـا عز منـك خلائق
كرام اذا عـد الخلائق أربـع
دنوك حـتى يذكر الجاهل الصبا
ودفعك أسباب المنى حين يطمع
فوالله مـا يدري كريـم مطلتـه
ايشتد ان لاقـاك أم يتضـرع
وانـك ان واصلت اعلمت بالذي
لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

غير أني لم أرض في تعليق الدكتور ، وهو الباحث الكبير ، مجرد الاستحسان للأبيات . لقد افتقدت دراسة نفسية في الشاعر ومحبوبته من خلال هذه الأبيات . فان الأبيات تصوير لحقيقة مجد النفس الطبيعي عند كثيّر ، أعني مجد نفسه وشرف حسه ، وانه منحها مراد هواه ، وصورة مبتغاه ، وكرامة علاه ، حتى ولو لم تكن هي كذلك أو كل ذلك . وأبلغ الحلاوة في التعبير قول كثيّر : « وأعجبني يا عز » فانها جملة تصور حقيقة السمو الشامخ ومنطق الكبير الراسخ ، وهذا نفسه يبطل ما تصوره الدكتور في أن « كثيّر » تلمس المجد تلمسا لارضاء حبيبته وتغطية ضعفه ونقصه .

اما الذوق فهو ذلك الوصف المبدع لأحلى ما يلذ ويشوق ويطرب من فن الحديث والتحديث الذي هو جمال الجمال الناطق ، وأغلى ما يشوق المحب في محبوبته . فلنستمع اليه مع الدكتور زكي مبارك في هذا البيت :

من الخفرات البيض ود جليسهـا
اذا مـا انقضت أحدوثة لو تعيدها

وللدكتور زكي مبارك لمسات حلوة تبرز كرائم أخلاق « كثيّر » وأخصها الكتمان ، ويجيد الدكتور الاستدلال حين يوقع توقيعا سديدا على مساقط هذه المعاني ، فهو يعجب بالبيت الذي يقول فيه « كثيّر » :

كريم يميت السر حـتى كأنـه
اذا حدثـوه عن حديثك جاهله

ومثل ذلك تصويره للخوالج المتحركة في احساس المحب تنزع به دائما الى ما تتعشقه النساء من مجد وما تعتز به في ذات المحـب مستنطقا أحسن استنطاق قول كثيّر :

ويجهد للمعروف في طلب العـلى
لتحمد يوما عند « عز » شمائله

ويؤكد هذا المعنى برفع قدره ، فيجعـل الدكتور من الحب صاحب فضل في بناء الأخلاق ، فهو يقول ان المرأة كالفرس مفطورة على الخيلاء ، ويعلله من الوجهة النفسية بقوله : « فالمرأة لا يهمها الشعار الذي يلاصق الجسد بقدر مـا يهمها الثوب الـذي تلاقي به الناس » .

ان بحث الدكتور زكي حول « كثيّر » لا يقبل المزيد ، فهو نابع من حبه واعجابه بكثيّر ، الحب الأخلاقي المستمد من حب كثيّـر الأخلاقي لعزة . ومما يروق ويطرب في حديث زكي مبارك دندنته حول الوصف المبدع في شعر « كثيّر » . وأرق بيت استشهد به ذلك الذي يصف فيه كثيّر وجده بعزّة :

وجدت بهـا وجـد المضل قلوصه
بمكة والركبـان غـاد ورائح

ويطيب لي أن أتحرك حركات سريعة حول لقطات سريعة متحركة في كتابه . أولهـا استرساله في قضية قديمة ، هي أيهما الأضعف .. العاشق أو المعشوق . وهو يرجح أن المعشوق أضعف ، لأن العشق فضل ورحمة من العاشق على المعشوق ، فالعاشق في نظره هو الأجدر بالدلال . ولم أدر كيف ترجح هذا الاتجاه عند الدكتور زكي ، وهو نظرة ضعيفة لعدد قليل من تلاميذ افلاطون تميزت بالشذوذ . وانما قوة المحب ينبع سرها من ذات ضعفه كما تنبع لذته من ألمه .

ثم انه يفرق بين عفاف العاجزين وعفاف القادرين ، ويسمي عفاف العاجزين زهدا وانسحابا ، وهذا نص عبارته ، وهي تفرقة ضعيفة بعيدة عن التحليل العميق :

« فلا يسمى عفاف العاجزين من أصلـه عفافا ، بل هو عجز محض من أساسه وفي أساسه ، لا يجوز أن ينسحب عليه لفظ العفاف فضلا عن معناه . »

أما اللقطات الجديرة بالاهتمام في بحثه هذا ، فهي استذواقه الواعي للمعنى الذائق الرفيع الرائع في شعر الأحنف ، الذي يصل بين صدود الملال وصدود العتاب في صورة رائعة حين قال :

لو كنت عاتبة لسكّـن لوعتي
أملي رضاك وزرت غير مراقـب
لكن مللت فلم تكن لي حيلـة
صد الملـول خلاف صد العاتب

ولو لم يكن للبيتين في نظري من حلاوة غير هذا التفصيل لكفى . فالصياغة عندي خالية من الوضاءة والاشراق والنبض .

وآخر هذه اللقطات استنتاج الدكتور زكي مبارك ان محبوبة الأحنف التي كان يتغنى بهـا ويسميها (فوزا) كانت على جانب من التثقيف لأنها تقرأ رسائله وتجيب أو لا تجيب . والدكتور زكي كأنه يريد هنا أن يوحي الى القارىء ان محبوبة الأحنف (فوز) كانت مثقفة ، ومبلغ الثقافة عنده انها تقرأ رسائله ، وكل هذا الاستنتاج من قول الأحنف .

ويقنعني ممـن أحـب كتابـه
ويمنعنيـه انـه لبخيـل

وليس في منطوق البيت ولا مفهومه انها كانت تقرأ رسائل ، وكل ما في البيت أمل الشاعر أن يصله خبر عنها في كتاب ، بل ان الشاعر صرح في أبيات أخرى انه كتب لها ونبذت كتابه ولم تقرأه ، وهذا هو المعنى الألصق بالبيت والأقرب اليه .

الطاقة الحرارية الشمسية والبطارية الشمسية

بقلم الدكتور نقولا شاهين

لا نغالي اذا قلنا ان الطاقة على اختلاف أنواعها ، هي من أهم أركان العمران . وهي الوسيلة الأساسية لتقدم الصناعات وازدهار المدنيات . ولم يترك الانسان نوعا من أنواع الطاقة الا وجرّب ان يسيطر عليه بقدر ما تسمح له امكاناته . فاستخدم الطاقة الهوائية في تسيير المراكب الشراعية في البحار ، والطاقة المائية في تسيير المراكب في الانهار ، والوقود في تحويل الماء الى بخار يحوي طاقة عالية كانت أساسا لتشغيل الآلات البخارية في شتى حقول الصناعة. وشلالات الماء في توليد الطاقة الكهربائية التي تلعب اليوم دورا مهمافي انارة المدن وتشغيل المعامل والمصانع وغيرها .

وهناك أنواع عديدة من الطاقة تستخدم في أغراض مختلفة حسب حاجة الانسان اليها . لكننا اذا ألقينا نظرة عامة على مصادر الطاقة ، نجد أن المرجع الأساسي في معظم الحالات هو حرارة الشمس . فهي المتسببة في تبخر المـاء ورفع دقائق البخار الى أعالي الجو . حيث تتكثف وتسقط مطرا على الأرض . فتتكون البحيرات والانهار والشلالات . التي تصبح مصدر طاقة مائية وكهربائية هائلة . وحتى أنواع الوقود بأسرها . التي أصبحت اليوم مصدرا مهما للطاقة . ما هي الا بقايا نباتات وحيوانات نافقة استقرت في قيعان الأنهار والبحار . وبفعل الضغط والحرارة وتفاعل البكتيريا تحولت هذه الكائنات الى وقود .

وقد جرب الانسان منذ زمن بعيد ، ان يتوصل الى استخدام حرارة الشمس مباشرة كمصدر للطاقة . لكن النجاح لم يكن حليفه في هذه المحاولات على الرغم من أن الشمس تمده يوميا بهذه الحرارة . التي قدر الخبراء كمية ما يتلقاه سطح تبلغ مساحته مائة متر مربع منها فـي اليوم الواحد بما ينتج عن احتراق سبعين كيلوغراما من الفحم . أو ستين لترا من البنزين . وهـذه الحقيقة حدت بالعلماء والمهندسين في مختلف البلدان الى دراسة هذا الأمر واعادة النظر فيه . فكانت النتيجة ان ثبت انه باستطاعة الطاقة الحرارية الشمسية ان تزاحم أنواع الطاقة الأخرى

قمر أصطناعي مجهز ببطاريات شمسية في أجنحته .

في ظروف معينة ، فأشعة الشمس منتشرة على معظم سطح الكرة الأرضية ، ويمكّن الاستفادة منها بصورة أعم وأفضل . وقد استخدمت أشعة الشمس ، بواسطة مرايا عاكسة كمصدر حرارة كافيـة لادارة مطبعة بخارية في باريس عام ١٨٨٤ . كما تحقق استخدام الطاقة الحرارية الشمسية في الأغراض المنزلية والصناعية والزراعية في كثير من البلدان ، فعرضت سخانات تعمل بحرارة الشمس في الأسواق ، كما عرضت أجهزة مماثلة لتقطير الماء ، ومراجل وأفران ذات حرارة عالية ، وأجهزة لتدفئة المنازل ومزارع الفاكهة وأحواض النباتات . وستصبح هذه الأجهزة سهلة التناول قليلة التكاليف بعد انتاجها بكميات كبيرة .

تصميم لطائرة يحتمل أن تعمل محركاتها بواسطة طاقة مستمدة من بطاريات شمسية مركزة في جناحيها .

ولم يقف الباحثون عند هذا الحد ، بل توصلـوا الى استخدام حرارة الشمس للحصول على الطاقة الآلية والكهربائية . وهناك مشاريع قيد الدرس والتحقيق في بعض البلدان ، لتوليد طاقة كهربائية تبلغ نحو ألفي كيلوواط . وقد صممت في ايطاليا مضخات رافعة للري تعمل بالطاقة الحرارية الشمسية ، وهي كناية عن مراجل شمسية يرتفع البخار المتصاعد منها فيولد قوة ضاغطة .

لقد قيل الكثير عن الطاقة الذرية . وعما يحتمل أن تأتي بـه من فوائد في الحقول العلمية والصناعية . لكن المواد الأساسية لتوليد الطاقة الذرية ستظل منحصرة في بلدان محدودة الى أمد طويل . فضلا عما يرافق انتاجها مـن أخطار ، بسبب الاشعاع الذي يطلق مـن النظائر ، فتتخذ لذلك احتياطات هائلة لتجنب هذه الأخطار . أما الشمس فهي أعظم مصدر للطاقة ، حيث تندمج ذرات الايدروجين الخفيفة معا ، لتشكل ذرات الهيليوم مع خسارة صغيرة في المادة . وفي كل ثانية تندمج ذرات ٦٠٠ مليون طن من الايدروجين ، وتنتج ٥٩٦ مليون طن من الهيليوم ، وهذا ما يعرف بالتفاعل النووي الحراري ، فالشمس اذن معين للطاقة لا ينضب .

وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية استغلال الطاقة الحرارية الشمسية في مشروع لتقطير مياه البحر ، بحيث يحصل التبخر في النهار ، وفي الليل يستفاد من برودة الطقس لتكثيف البخار . وقد عرضت أجهزة تعطي أربعة لترات من الماء لكل متر مربع من المساحة المعرضة لحرارة الشمس . ويتألف هذا الجهاز من وعاء طويل لـه سقف شفاف مصمت منحن قليلا وفي أسفل جدرانه حواف ، يمر فيها جدول من الماء الملح . وعندما تقع أشعة الشمس على سطح الماء يتبخر بشكل ماء عذب على حواف جدران الوعاء ليمر في «أنابيب» تؤدي الى خزانات معينة .

لم يقتصر استخدام الطاقة الحرارية الشمسية على هذه الناحية بل تعداها الى نواح عديدة . فقد أقيم في أوروبا مرجل شمسي تصل الحرارة فيه الى سبعة آلاف درجة مئوية ، وهذا يعادل درجة الحرارة على سطح الشمس ، وذلك باستعمال مرآة مخروطية الشكل يبلغ قطرها سبعين مترا . وتعمل بعض الخطوط الهاتفية بواسطة بطاريات تشحن بالكهرباء عندما تتعرض لأشعة الشمس . كما تعتمد بعض أجهزة الراديو على هذا النوع من البطاريات ، وقد بدأ عرض هـذه الأجهزة في الأسواق العالمية .

وقد كان لهذه البطارية شأن كبير في ريادة الفضاء . فهي تخزن الطاقة الكهربائية عندما تتعرض لأشعة الشمس ، وعليها تعتمد مركبات الفضاء والأقمار الصناعية باعتبارها مصدر الطاقة الكهربائية والحرارية اللازمة لتسيير أجهزتهـا الألكترونية . ولما كانت هـذه البطارية عرضة للتعطل بسبب ما يعترضها من اشعاع فـي الفضاء ، لجأ العلماء الى طريقة تعيد اليها نشاطها عند رفع حرارتها الى ٤٥٥ درجة مئوية . ويمكننا أن ندرك مدى صعوبة هذه العملية ، اذا تذكرنا ان بطارية كهذه تدور حول الأرض بسرعـة

مرجل شمسي يستخدم في لحم المعـادن .

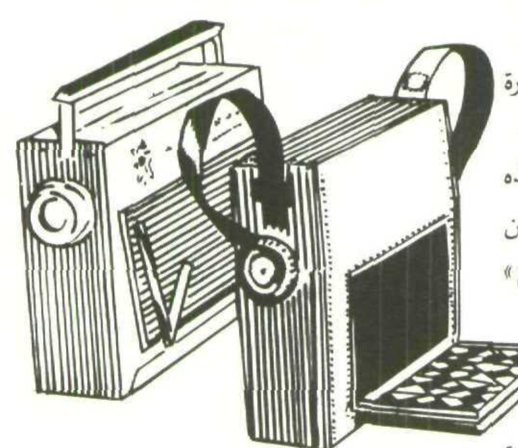
٢٨٨٠٠ كيلومتر في الساعة ، أو أكثر ، على بعد آلاف الكيلومترات عن الأرض . فهناك مجموعة من العدسات تجمع أشعة الشمس التي تغذي هذه البطارية ، وتحصرها في نقطة ضيقة . وعند وصول اشارة من الأرض ، تتجه العدسات الى الناحية المطلوبة ، وتركز أشعة الشمس كما هي الحال في العدسة المحدبة المحرقة . عندها تعود ذرات السيلكون الى وضعها الأصلي ، بعد أن تكون قد تعطلت بسبب الاشعاع في الفضاء . ومن أطرف ما سمعناه ، ان المركبة الفضائية « سرفايور — ١ » ، توقفت عن البث عندما أظلم الليل في القمر ، وبعد اسبوعين عادت الى البث لأن الشمس أشرقت وشحنت البطاريات من جديد .

وتتألف هذه البطارية من شريحة رقيقة جدا من السيلكون ، سمكها نحو سنتيمترين ونصف ويتصل بها سلكان معدنيان كما هي الحال في البطارية العادية . وعندما تتعرض لنور الشمس ، تختزن البطارية طاقة قوتها نصف فولت .

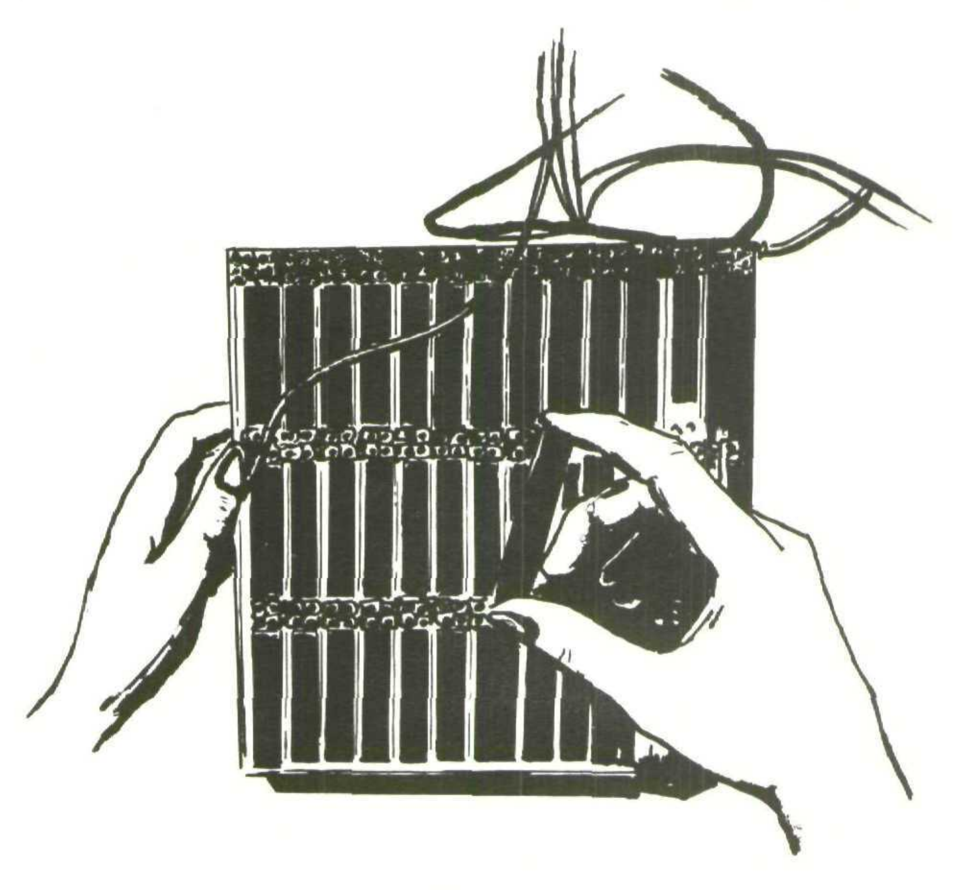
لقد تنبه العالم حديثا الى الاستفادة بصورة فعلية من الطاقة الحرارية الشمسية . وكان في مقدمة الذين فكروا في استخدام هذه الطاقة لخدمة الانسان العالم العربي الراحل حسن كامل الصباح . ففي عام ١٩٣٠ سجل «الصباح» اختراعا هو كناية عن جهاز للتلفزة يحول أشعة الشمس الى طاقة كهربائية ، فجاء هذا الاختراع فتحا جديدا للاستفادة من أشعة الشمس ، وخصوصا في الصحاري والقفار . وقد اعتمد في تجاربه التطبيقية على عدسات تجمع كمية كبيرة من الأشعة ، فتوصل الى نتائج لا بأس بها . ثم لجأ الى استعمال اسطوانات كبيرة مفضضة لجمع أكبر كمية ممكنة من حرارة الشمس وتركيزها على مسافة معينة . وبعد اختبارات دامت ستة أشهر توصل الى وضع جهاز للتلفزة يحتوي على بطارية كهربائية تستمد قوتها من حرارة الشمس . وقد انفقت الشركة التي كان يعمل لديها أكثر من مليون ريال (ربع مليون دولار) على تسجيل هذا الاختراع ، كما استعملت هذه البطارية بنجاح في تسيير احدى السيارات التابعة لها .

وقد اتجهت أفكار العالم العربي « الصباح » الى تطبيق اختراعه هذا في البادية السورية . فكتب الى الملك فيصل الأول في ذلك الوقت ، بشأن انشاء مولدات للقوة الكهربائية تعتمد على حرارة الشمس وتوزيعها على الأقطار العربية ، لكن حلم « الصباح » لم يحقق لظروف اقتصادية .

ومما تقدم نرى أن استخدام حرارة الشمس لتوليد طاقة كهربائية سيكون من أفضل السبل لتجهيز بلدان العالم ، وخاصة البلدان العربية بما تحتاج اليه من الطاقة ، لشروق الشمس الدائم تقريبا في جوها ، وخاصة بعد نضوب مصادر الطاقة الأخرى ونفادها .



نموذج لبطارية شمسية استخدمت بنجاح في أجهزة التلفون وهي من صنع شركة أمريكية .



نموذج لجهاز استقبال مجهز ببطارية شمسية تتألف من ٣٢ وحدة كما يبدو في الرسم .



بقلم الاستاذ عبد السلام هاشم حافظ

خرج المغيرة بن شعبة – بقلبه وحده ، كأنه بقية دنياه ، تاركا للامارة شئونها وايامها ، سالكا سبيلا وعرا غير وجل ولا هياب .. لأنه في حلمه بالأمل الذي يسعى اليه أصبح لا يروم من الدنيا سواه .

انه يستثقل تلك الحياة المنظومة ادوارها كحبات عقد اللؤلؤ ، فيحسبها ثقلا ينوء به صدره أو قيدا يشد على أعضائه ، أو قفصا يحد من حرية مطالبه . انه يتحدث الى نفسه في خلوة من خلواته عن تلك الفكرة التي تشاغله وتستأثر بخياله ، فيرى نفسه تتحدث اليه بدورها في نزعة من نزعاتها العاطفية عن عالم مليء بالفخر والسؤدد ، ولكن في غير مقامه حيث هو .

انه شيء ينقصه ويلح في النداء عليه ، حتى ليأخذ عليه كل تفكيره . فكم من الليالي كانت تطويه ويطويها وهو مسهد كليل الجفن ، لا تسكن له بلبلة ولا يلم جنبيه مضجع ، وهو منتهب الوعي مأخوذ الفؤاد ، لا يكاد يضمر نية ويهم أن يستريح اليها خاطره ، الا وتنشب فيها براثن الواقع النفسي المخيف كأنها تنهش في مهجته .. والوساوس تداهمه من كل جانب ، حتى استقر أخيرا على عزيمته ليضع حدا لكل ذلك . ولكنه لم يكن يستحسن الوسيلة الى بلوغ مأمله الا اذا تولى هو نفسه القيام بدور البطولة وتنفيذ خطته بنفسه لبلوغ مأربه .

فهند المتعبدة ، بظلام وجودها وحياتها المنعزلة المتقشفة ، هزت في هذا الوالي البطل احساسا عجيبا . فهي سر الحياة السعيدة الجديدة .. أوليست هي فوق ما يعرف ، وانها بنت النعمان بن المنذر ؟ هند التي قالت بلسان أبيها الحاكم الباسل ، قبل أن تتمزق مملكته ويزحف عليها عارض الفناء : «أمسينا مساء ، وليس في الأرض عربي الا وهو يرغب الينا ويرهبنا . ودانت لنا الدنيا حتى امتطينا مراكب عزها وعظمتها ، وجرت المقادير معنا حتى نولتنا كل أمنية هيأنا لها سعيها .. فكان لنا يوم بؤس ، ويوم نعيم . وطارت بأنبائنا الناس ، وسارت بها الركبان ، وما نخال الا أن الحياة أمست لنا معنى من معاني الأبدية وسلما نرقى به الى هامات الخلود» . وأضافت هند : « اما وان العدالة في حكم الرعية ، وسياسة الحب والسلام في تصريف أمور البلاد ونهوضها ، والمساواة بين أفراد الشعب .. لهي أسس البقاء الحميد لكيان الدولة وعماد تقدمها المطرد . كل ذلك من الايمان بالله وبحقوق الآخرين ، فشريعة دين الانسانية كسب للحياة الأفضل التي توحي بالمجد الانساني . وهي تقرر بأن من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا فما بالك بآلاف البشر الذين هم في عنق واليهم وتحت رحمة مسئولياته الضخمة ، وطاعته من طاعة الله ؟ فكيف تجب له منهم هذه الطاعة إذا كان لا يتصرف فيهم بغير الحق وبغير العدل ؟ الى أن قالت : « أواه يا أبي .. لقد كنت برا بأهلك حكيما بأمتك .. كنت صالحا في رعيتك .. ولكن الرب تعالى أبر وأحكم وأصلح وله في خلقه شؤون .. ألا ليتني كنت أعرف الداء لأصف لك الدواء .. وليتك الآن بقربي تسمع مني واسمع منك .. ونتحادث بأنباء الزمان القلب . »

هذا ما كانت تهجس به في حزن عميق بنت النعمان (المتعبدة الضريرة) التي سار الى ديرها موكب والي الكوفة (المغيرة بن شعبة) متجردا عن هيبة السلطنة الآمرة الناهية ، تجتذبه تلك الهالة الضخمة لشخصية المتعبدة ، التي ظلت السنين تحتمي بجدران معبدها الأربعة ، وكأنها تبصر منها أبواب النعيم توشك أن تنفرج من وراء عينيها المبيضتين ، فتتوسل الى بارئها راجية رحمته. ولا تفتأ تذكر أباها وتدعو له في صلوات متعاقبة واستغفارات متتالية. وانها لتتعجل النهاية وتتمنى لو تحولت شعاعا يتصاعد الى حيث السعادة الأزلية . وانها لفي ترسلها ذاك وسكونها الملائكي ، اذا برسول المغيرة يقف بالباب مستأذنا ببساطة قائلا : أمير هذه المدرة بالباب . ويستعظم الرسول أمرها ، ويخفض من ناظريه حين تبتدره بصيغة الأمر تسأله : « أمن ولد جبلة بن الأيهم ؟ أمن ولد المنذر بن مـــاء السماء ؟ »

ولكن لا تتردد في مسامعها دوي صدى آت من أعماق الجهالة ، فقالت تستبينه ، وفي يقينها أن كلامها بالغ الأمير بغير ما واسطة : فمن أنت ؟» قالتها برنة عالية ممتزجة بضعف ، وهي بعد في مجال عبادتها لم تتحيف أو تتزعزع .

ويرتفع جرس ضمير الأمير ولسانه معا : « الوفي لهند الغالية .. المغيرة بن شعبة الثقفي . »

وهكذا دل بتواضعه عن موقفه الساخر من نفسه ، وهو يستمع الى غير ما كان ينتظر .. ويرى غير ما يأمل .

ان هندا تعود لتسأله عن حاجته في منطق سليم ، وهي من هي !؟ العمياء ، الواهية الجسد ، التي لا رغبة فيها ولا رهبة ولا مطمع ولا مأمل ، وهي التي فنيت مطالبها من العالم المنظور ، المعتزلة عنه وعن كل من فيه .. فيعلن اليها الأمير أنه انما جاءها متقربا ، خاطبا اياها لنفسه ، ليزيد بها شرف ولايته .

خاطبا ؟ أي عرض هذا الذي لم تصدقه ؟.. هذا الذي يطلبه منها ، وتنفرج بسره شفتاه ، وقد أقفر حقل عمرها من أزاهيره ومن خضر أوراقه. أسباب عيشها فلا تسمع رنين الدنانير ، ولا تستطعم لذيذ المآكل وتشتم روائحه ؟. اذ أصبحت تتكوم على نفسها ، لتحبس معاني ما نالها من القلة فيما قد تهدم من جسمها ومن أموالها ، بل فيما عراها من فرط فجيعتها على مملكة أبيها العريضة ، حتى قالت راجفة يائسة : « أصبحنا صباحا وليس في الأرض عربي ،الا ونحن نرغب اليه ونرهبه ». وبعد أن تهيأت لمواجهة ذلك العرض السقيم ، تحفزت بكلمات موجزة ، لتنبه الأمير ،وتعظمه وتردعه عن نزواته ، وتصرفه عنها بعد أن تلقي عليه درسا بليغا ، ثم تعطيه الفكرة السامية لعوامل الارتفاع بنفسه ورقي ولايته.. فقالت هند بهدوء عميق : « ان كنت جئتني لجمال أو مال لأجبتك ، ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر ، والا فأي خير في اجتماع أعور وعمياء ؟ » وأضافت : « انك ان كنت غبت عن نصف الدائرة في عقلك الظاهر ، أو غاب هذا النصف عنك فقد اكتملت لي أنا دائرتان من نور أرى من خلالهما في الأولى مظاهر القوة المدبرة العادلة الرحيمة التي يسرت لي أن أكتشف المعاني الطاهرة الخفية ومعميات نفسي البصيرة تجاه غيري ، فلا أحب لها الا ما أريده لغيري ، وهذا بعض الايمان ، ولن تقوم للذات قائمة في أي تاريخ مضى أو يأتي إلا به . وادرك في الدائرة الثانية القدرة الالهية العظمى التي ستتصرف بنا نحن الآدميين في اليوم الآخر الذي لا ريب فيه ، بأعمالنا ونوايانا ، فمن صلح فلنفسه ومن زل فعليها . فواخيبة من ضل سعيه ثم هوى، وطوبى لمن اتقى واهتدى وعمل الصالحات في العاجلة ، وكان في الآخرة من الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. يرى هناك في الدار الباقية تقواه تدعوه الى وجه الله الكريم . »

قصة قصيرة

الأعرج

بقلم الاستاذ محمود البدوي

ذهبت الى هونج كونج في الصيف الماضي في رحلة بهيجة تثلج القلب ، على متن احدى الطائرات النفاثة ، وكانت تشق الفضاء في سرعة الصاروخ . وكان كل من أعرفهم قد حذرني من عربة « الركشة » ومن الأدلاء في مدينة الأعاجيب .

ونزلت في فندق صغير يقع في شبه جزيرة « كولون » لهدوئه وقربه من المطار . وبين مدينة « كولون » و « هونج كونج » بوغاز تعبره البواخر في نزهة بحرية منقطعة النظير .. نزهة بين أجمل مناظر الطبيعة ، وأبدع ما خلق الله وصنعت يد الانسان . وتجمع هذه البواخر في ذهابها وايابها خليطا من كل أجناس الأرض ندر ان يجتمع مثله في مكان آخر . وهي مع كثرتها ودقة مواعيدها مزدحمة دوما بالركاب العابرين . ويبلغ الزحام أشده قبل التاسعة صباحا وبعد الخامسة مساء ، حيث ينحدر سيل الموظفين الخارجين من البنوك والمحلات الكبيرة الى الميناء حتى يسدون كل منافذ الكوبري المعلق المفضي الى الطريق ويتدافعون عليه بالمناكب من هول الزحام .

والسائح النازل في «كولون» لا يستغني عن هونج كونج ابدا حيث جمال الطبيعة في التلال الزمردية والهضاب الشهباء ، وحيث الذهبية العائمة في سواحل « ابردين » ، وصيد السمك في « خليج استانلي » . ولهذا كنت أعبر البوغاز في كل صباح وأذهب الى « هونج كونج » فأجلس في مشرب من مشارب الشاي في «كوين رود» ، قريبا من بنك الصين . أتأمل حركة السيارات والمارة من كل بقاع العالم ، وأطالع الصحف والمجلات الانجليزية والأمريكية العالمية ، كما أقرأ الجريدة المحلية التي تصدر في هونج كونج باسم « جنوب الصين » . وكنت أبتاع هذه الصحف من بائع صيني عجوز مقطوع الساق كان يتخذ له مكانا مختارا تحت « الباكية » .

ووقع في تقديري انه خاض غمار الحرب العالمية الثانية عندما غزا اليابانيون المدينة واكتوى بنارها ، ففقد ساقه . وكان الرجل يركز عصاه على جدار البنك ، ويجلس متنبها يقظا لكل حركة في الطريق ، وبجواره صف من ماسحي الأحذية ، وأمامه على الرصيف الآخر طابور من عربات الركشة ، التي تتحرك الى قلب المدينة أو تنطلق الى الهضبة . وألفيت الرجل رغم

العجز الذي أصابه ضاحك السن ابدا ، مرحا شديد الحيوية ، ويتحرك بعكازه كأنه يعدو على قدمين من فرط ما فيه من نشاط وصحة . كما ان جواره للبنوك جعله على دراية بالعملات الأجنبية . فكان يبيع الصحف بالدولار الأمريكي والجنيه الاسترليني ، والروبية الهندية ، والينات اليابانية ، والفرنكات السويسرية والفرنسية .

ولم يكن يرفض أي عملة على الاطلاق .

وبدا لي من شخصيته المهيبة انه هو الذي يحرك عربات الركشة ويمسك خيوطها .

وجعلتني ساقه المقطوعة أعطف عليه . فكنت أشتري منه الصحف والمجلات بدلا من شرائها من « كولون » . كما كنت في كثير من الحالات أترك له الفكة الصغيرة .

ولم يكن من عادتي أن أركب الركشة ولا الترام لأنني أحب السير على قدمي في المدينة ، لأعرف كل شيء فيها وأدخل في منعرجاتها ودروبها ، وأشاهد المتاجر وأرقب حركة الناس عن كثب . وكانت تشوقني حركة المدينة السريعة في العربات والسيارات والناس ونشاطهم المنقطع النظير .

° ° °

وكان في جيبي شيء جعلتني الظروف ألا أتركه في الفندق .. بل أدور به أينما حللت ، اذ كنت أحمل عقدا من اللؤلؤ الخالص اشتريته لوالدتي من طوكيو . وخشيت لو تركته في الفندق أن يستبدل بعقد زائف ولا أستطيع أن أميز بين الزائف والصحيح ابدا ، أو يسرق .. وهذا أسهل الأشياء حدوثا . ولشدة اهتمامي به وحرصي عليه ، ولصوقه بجيبي ، كثيرا ما كنت أنسى أمره كما ينسى المسافر محفظة نقوده في سيارة أجرة أو في عربة القطار .. فاذا تذكرته انخلع قلبي هلعا ، ثم أتحسسه ، وزيادة في التأكيد أخرجه من جيبي بطابع الوسوسة لأنظر فيه ثم أعيده الى مكانه ، وأنا أتلفت حولي خشية ان يراني أحد النشالين فيتبعني .

° ° °

ولما كنت مشوقا لأن أصعد الهضبة في الليل وأركب الترام الصاعد ، فقد اخترت أول الليل لهذه الرحلة لأنني سمعت كثيرا عن حوادث السطو في الغابة ! .

وقضيت في المدينة الجميلة اسبوعين ، وأنا أرى في كل يوم منظرا رائعاً جديدا ، وشيئا غريبا لا تقع على مثله العين في أي مكان . وكان أكثر ما يسرني أن أقف أمام الأعرج أتناول منه الصحف ، وأجاذبه الحديث ، وأنا شاعر بالصفاء وبمودة القلب وبالاخاء الانساني الفطري الذي في كل البشر .

ولم أكن أدري أين مضجعه .. أيسكن في « كولون » أم في ضواحي « هونج كونج » ؟ ولكن فقره كان ظاهرا للعيان ، وانه يعيش بقوت يومه ، بيد اني ما سمعته يشكو من شيء ابدا .

ولما علم اني فلاح مصري حثني على أن أشاهد الريف في القرى المحيطة بهونج كونج ، وأذهب الى « لوو » ، لأرى الفلاح الصيني هناك كيف يحرث الأرض ويزرع الحب على ماء المطر .

° ° °

وذات ليلة ، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة ، وحركة السابلة في الطريق قد خفت قليلا ، واللافتات باللغة الصينية وبالحروف الكبيرة المضاءة بالنيون تغطي واجهات الحوانيت ، والمطاعم الصغيرة تعرض ماعندها من صنوف الطعام ، رأيت صحاف الأرز الكبيرة والمرقة تسبح فيها الكرشة ، ولحوم العجول والطيور في أطباق صينية واسعة .

لاحظت خفة الحركة في الطريق والرجال في الحلل الأوروبية أو الصينية ، والنساء في الجيوب المشقوقة و « البلوزة » الحريرية الحمراء ، وجذب انتباهي لافتة صغيرة في مدخل طويل على جانبه صف من الحوانيت الصغيرة التي تبيع القداحات والعطور والمراوح وتماثيل الخزف والعاج .. صف منسق ، كانما وضع تصميم هذه الحوانيت رسام بارع . وكان نصف الحوانيت مضاء والنصف الآخر قد أغلق أبوابه . ووجدت نفسي تحت اللافتة وأمام ستار حريري ، فدفعته ، ودخلت في سكون لأجدني في حجرة شاحبة الضوء . وكان البخور يعبق في جو المكان وتصدح فيه موسيقى خفيفة ونقر شبيه بنقر الدف ، ولكنه يأتي من فوق وليس في المكان ، وفي صدر الحجرة جلست قارئة كف صينية عجوز ، وبجوارها فتاة تابعة لها ، ومن وراء الستر كان شخص يتحرك لم يظهر منه شيء .

ولم ألبث ان عدت الى الجادة التي دخلت منها ، فوجدت معظم حوانيتها قد أغلقت ، والظلام يبسط رواقه ، فشعرت بالخوف . وتحت باكية لمحت نصلا يلمع في وجهي ، فجريت مذعورا حتى بلغت الشارع الرئيسي .. وأنا ألهث . وسمعت صوتا ، وحركة أقدام سريعة خلفي وعراكا لم يستمر طويلا . وخيل الي انني سمعت صوت الأعرج وحركة عكازه على الأرض . ولما تلفت لم أجد أي شخص .

° ° °

وفي ليلة من ليالي السبت ، وكنت قد تجولت طويلا في هونج كونج ، عبرت البوغاز على باخرة في جو حالم ، وأنا أشعر بالتعب والنعاس . ولما بلغت الفندق تفقدت عقد اللؤلؤ فلم أجده . وتألمت غاية الألم ، حتى لم يغمض لي جفن في تلك الليلة . وفي الصباح شاهد « الأعرج » ما على وجهي من حزن ، فتصور اني مريض ، وسألني عن حالي . ولما كان قلبي مثقلا بالغم ، رأيت ان من الخير لي أن أقص على الرجل الخبر لأنفس عن نفسي ، واسأله ان كان من الأوفق أن أبلغ الشرطة . فتغير لونه وتألم ، ثم قال : « لا عليك انه فداك . »

فقلت : « أليس من الأحسن ان أبلغ الشرطة؟ »

فقال : « وما الذي تفعله الشرطة في مدينة كهذه تعج بالنشالين ..؟ ربما كان العقد الآن في جيب أحد المسافرين الى « نيودلهي » أو بانكوك ... »

فقلت : « أتقصد أن النشال باعه ؟ »

فقال : « بالطبع .. وبأسرع مما تتصور . »

وزاد هذا من حزني وفقدت الأمل كلية .. ومرت أربعة أيام ، وكلما ركبت الباخرة الى هونج كونج وعبرت البوغاز ، ورأيت اللافتات في كل مكان بالانكليزية تحذر من النشالين ، زاد غيظي . ثم اعتزمت السفر يوم الخميس التالي ، فودعت الأعرج في مكانه وتحت الباكية وعانقته .

° ° °

وفي صباح يوم السفر وبينما أنا أخرج من بهو الفندق ، وأهم بركوب السيارة الى المطار ، وجدت الأعرج يتوكأ على عكازه .. كان في انتظاري . وعجبت كيف عرف الفندق الذي أنزل فيه وما حدثته عنه قط ، ولكن عجبي ازداد عندما مد لي يده بشيء مطوي في علبة ، وقال باسما : لقد جئت لك بهدية صغيرة ، أرجو أن تقبلها ..

ولما لمحت أن العلبة هي نفسها التي سرقت مني ارتجف قلبي .. وتناولتها منه ، وفتحتها فوجدت عقد اللؤلؤ في مكانه .. واخضلت عيناي بالدمع وأنا أنظر الى الرجل صامتا ولا أستطيع أن أنبس بكلمة شكر .. وكان هو معتمدا على عكازه في هدوء وعلى وجهه السكينة .. وكأنه ما فعل شيئا .



بقلم الاستاذ اسماعيل الناظر

يحلو للعربي دائما أن يدرس التاريخ العربي ، ويحلو لرجل القانون أن يدرس الشريعة الإسلامية وأن يمعن التفكير فيها . واذا كان الدارس عربيا ومن رجال القانون فأمامه ثروة كبيرة من التاريخ العربي الاسلامي والفقه الاسلامي . وكلما طلب مزيدا ناله ، وكلما نشد رجلا عظيما وجده ، وكلما طلب حكما عادلا ألفاه .

ولعل أبرز شخصية تصلح مثلا على ذلك كله بعد شخصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هي شخصية أحد العمرين وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنـه .

ومعروف أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقضي بين الناس فاذا كانت بينه وبين أحد منهم خصومة حكم الرسول في الخلاف رجلا من أصحابه وقبل حكمه . وكان أبو بكر يقضي بين الناس ، فلما كثرت مشاغله ومسوءولياته ندب للقضاء عمر بن الخطاب . ولما انتقلت الخلافة الى عمر ندب للقضاء من أنس فيهم الكفاءة ، وعين في الأمصار قضاة يحكمون بين الناس ، كما كان هو يقضي بينهم ما وسعه ذلك . وقد توفرت لعمر موءهلات خاصة تركت أثرها البارز في ما وصل الينا عن قضائه . فلقد صاحب رسول الله وأبا بكر ، وتفقه بالكتاب والسنة ، وقد فطره الله ذا نفس عالية لاتأخذها في الحق لومة لائم . وكان اذا جلس للقضاء قال : « اللهم أعني فان كل واحد منهما يريدني عن ديني » . وكان يقول كذلك : « ما أبالي إذا اختصم الي رجلان لأيهما كان الحـق » .

وممن ولاهم عمر القضاء ووضع لهم قواعد المقاضاة ، أبو موسى الأشعري الفقيه المعروف ، فقد جاء في كتاب بعث به اليه ما نصه :

« اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك الخصم فانه لا ينفع بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لايطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك . البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين الاصلحا أحل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيت فيه بالأمس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه . فإن الحق قديم والرجوع اليه خير من التمادي على الباطل .. والفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك بـه كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . واعرف الأمثال والاشتباه وقس الأمور عندك ثم اعمد الى أحبها عند الله ورسوله واشبهها بالحق . واجعل للمدعي أمدا ينتهي اليه ، فان أحضر له بينة أخذت له بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر .

والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة أو نسب ، فان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات .. ثم اياك والتأخر بالناس والتنكر للخصوم في الحقوق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الزجر فان من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس . ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه هتك الله ستره . »

ومن بين الذين ولاهم عمر منصب القضاء عبد الله بن مسعود الفقيه المعروف الذي أوصاه هذه الوصية الرائعة :

« يا ابن مسعود اجلس للناس طرف النهار ، أقرئهم القرآن وحدث عن السنة ، واحرص على ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا تستنكف اذا سئلت عما لا تعلم أن تقول لا أعلم . وقل اذا علمت ، واصمت اذا جهلت . واقلل الفتيا فانك لم تحط بالأمور علما . واجب الدعوة ولا تقبل الهدية ، وليست بحرام ، ولكني أخاف عليك القالة . والسلام » .

أما معاوية بن أبي سفيان فإنه حظي كذلك من عمر بوصيه وتوجيه في الحكم بين الناس . فقد كتب اليه يقول :

« إذا تقدم الخصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة . وادن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه . وتعاهد القريب فانك ان لم تتعاهده سقط حقه ورجع الى أهله . وانما ضيع حق من لم يرفق به . واس بين الناس في لحظك وطرفك . وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء » .

وكان عمر ينهى عن أخذ اعتراف المتهم بالتهديد أو الشدة وكان يقول : « ليس الرجل بمأمون على نفسه إذا أجعته أو حبسته أن يقر على نفسه » . وكان عمر يحذر من العقوبة بالحد الشرعي اذا كان في الأمر شبهة وكان يقول : « لأن أعطل الحدود في الشبهات خير من أن أقيمها في الشبهات » .

ومن أحب الأمور الى عمر في القضاء الأناة والروية ، وعدم الحكم في ساعة الغضب . فقد أذنب بعضهم واستحق عند عمر التعزير . ولما علم الرجل بعقابه تهجم على عمر وشتمه . وظن الناس أن عمر سيشدد على الرجل العقاب والزجر . أما عمر فانه أمر أن يخلى سبيل الرجل . وعجب الناس من ذلك وراجعوا عمر في الأمر فقال لهم : « لقد تركته لأنه أغضبني ، ولو عاقبته لكنت قد انتصرت لنفسي ، وأنا لا أعاقب مسلما لحمية في نفسي » . وبلغ عمر يوما أن رجلا قد ارتد وأنه قد قتل لردته فأسف عمر لردة الرجل طبعا ولكنه أسف لاستعجال الناس بقتله وقال : « هلا أدخلتموه بيتا وأغلقتم عليه وأطعمتموه كل يوم رغيفـا فاستتبتموه فان تاب والا قتلتموه؟ اللهم اني لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذ بلغني » .

وقد تخاصم عمر مع رجل في طريق مكة . فخاطب الرجل بالحسنى فلم تجد الحسنى . فعلاه عمر بالدرة (عصاه المشهوره) وضربه . فقال الرجل : « عجلت علي قبل أن تنتظرني . فان كنت مظلوما رددت إلي حقي وان كنت ظالما رددتني » . فأسف عمر أسفا شديدا وأنبته نفسه فرفع درته لا ليضرب الرجل ولكن ليعطيها له حتى يقتص لنفسه من عمر : وقال عمر : « اقتص » .

فقال الرجل : ما أنا بفاعل .

فصاح عمر : والله لتفعلن .

فقال الرجل : فاني أغفرها .

فقال عمر : لأن انصف من نفسي أصلح من أن ينتصف مني وأنا كاره .

وكان عمر جالسا يوما يصرف شؤون الرعية فقدم عليه رجل يشكو اليه من اعتداء بعض القوم عليه . ويطلب منه أن يقوم معه ليقتص له ممن اعتدوا عليه .. وما كان عمر في وضع وهو منهمك في عمله . أن يقوم مع الرجل . ولا كان الرجل ذا صبر أو أناة . فغضب عمر من الرجل ورفع درته وضربه بها وهو يقول : « تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم . حتى اذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه تقولون أعدني أعدني » . وصدم الرجل وحزن . وهمّ بالعودة خائبا لولا أن عمر أسف أسفا شديدا واستوقف الرجل ودفع اليه عصاه وقال له : « أمتثل » . فدهش الرجل وعفا عن عمر الذي عاد الى بيته محزونا فصلى وجلس يعاتب نفسه ويقول : « يا ابن الخطاب . كنت وضيعا فرفعك الله . وكنت ضالا فهداك الله . وكنت ذليلا فأعزك الله . ثم حملك على رقاب الناس . فجاء رجل يستعديك فضربته . ما تقول لربك غدا اذا لقيته » ؟

ومع خطورة المسؤولية التي قام عمر بأعبائها خير قيام والمبادىء الفقهية التي سار عليها وأرشد القضاة اليها . فان هناك جانبا من مزاياه لعل في الالمام به بعض المتعة ... ويصور ذلك موقف عمر من الدعوى التي أثارها الزبرقان بن بدر على الشاعر الحطيئة الذي هجا الزبرقان بقصيدته السينية التي قال فيها :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فلقد رفع الزبرقان أمره الى عمر وقرأ عليه هذا البيت بوجه خاص وانتظر منه أن يأمر توا بعقاب الحطيئة . ولكن عمر قال للزبرقان ان في هذا البيت معاتبة لا هجاء . فاستشهد الزبرقان بشاعر الرسول حسان بن ثابت فشهد حسان ان في البيت هجاءا مقذعا .. وعندها سجن عمر الحطيئة . وضاق ذرع الحطيئة بالسجن . وأرسل اليه من يستعطفه . وقال أبياتا جميلة من الشعر مشهورة حتى يرق له قلب عمر . وذات يوم دخل عبد الرحمن بن عوف على عمر . فأمر عمر أن يؤتى بالحطيئة من سجنه . فأحضر الحطيئة واذا به يأمر أن يؤتى كذلك برجل ومعه مثقب وشفرة . فأحضر الرجل . ونظر عمر الى الرجل وقال : اقطع لسان الحطيئة ... فنشف الدم في عروق الحطيئة من الجزع . ويروى أن الزبرقان كان حاضرا فهاله ما سمع وراح يستعطف عمر ألا يقطع لسانه ... وتمالك الحطيئة نفسه بجهد جهيد وقال : يا أمير المؤمنين اني والله قد هجوت أبي وأمي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي .. واستمع عمر الى كل ذلك وأيقن أنه أرهب الحطيئة بما فيه الكفاية (كما أراد من تهديده . لا قطع لسانه بالفعل) . وخلى سبيله بعد أن وهبه مالا (قيل انه ثلاثة آلاف درهم) فقطع بذلك لسانه عن الهجو طيلة حياة عمر .



○ قال الهيثم بن عدي عن رجاله : بينا حذيفة ابن اليمان وسلمان الفارسي ، يتذاكران أعاجيب الزمان . وتغير الأيام — وهما في عرصة ايوان كسرى — وكان اعرابي يرعى شويهات له نهارا . فاذا كان الليل صيرهن الى داخل العرصة . وفي العرصة سرير رخام كان كسرى يجلس عليه . وتصعد غنيمات الغامدي على سرير كسرى . فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الاعرابي على سرير كسرى .

○ قال مطرف بن عبد الله لابنه : يا بني لا يلهينك الناس عن نفسك. فان الأمر خالص اليك دونهم . انك لم تر شيئا هو أشد طلبا ولا أسرع دركا . من توبة حديثة لذنب قديم .

○ قال رجل لابن قثم : كيف أصبحت ؟ قال : ان كان من رأيك أن تسد خلتي ، وتقضي ديني . وتكسو عورتي . خبرتك ! والا فليس السائل بأعجب من المجيب .

○ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة . ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة . ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول .

○ قال المدايني : مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته . فقال : السلام عليكم . فقال : قلت ما لا ينكر ! قال : اني خرجت من أهلي بغير زاد . فقال : ما ضمنت لأهلك قراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظل بيتك فأتفيأ به ؟ قال : دونك الجبل يفيء عليك . قال : أنا ابن الحمامة . قال : انصرف . وكن ابن أي طائر شئت .

○ قال حكيم : الرجال ثلاثة : رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها . ورجل متوكل لا ينظر . فاذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقبل قولهم . ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا . ولا يطيع مرشدا .

مقومات المحطة النموذجية لخدمة السيارات



نظافة الهندام وحسن مقابلة الزبون ومراعاة أصول السلامة في العمل شعار المحطة الناجحة .

ليس أجمل ما يطالع به التاجر أو صاحب العمل زبائنه من ابتسامة رقيقة مصحوبة بعبارات اللطف والترحيب . فالابتسامة سمة مألوفة وخلة محمودة تنم عن مظاهر الود والتكريم ، وهي في الوقت نفسه مجلبة للزبائن ، ومدعاة للاقبال المتزايد ، ومكسبة للثقة بين صاحب العمل وزبائنه .

ولعل محطات خدمة السيارات تعتبر أنموذجا حيا لمظاهر الترحيب بالزبائن وحسن استقبالهم لكونها محطا للقوافل التي تجوب البلاد ، ودارا يستريح عندها الركاب سيما أولئك الذين هم على سفر بعيد . وهناك محطات كثيرة لخدمة السيارات تفتقر الى المقومات الأساسية الكفيلة بتطوير مبيعاتها ، وتوطيد مركزها ، ورفع مستوى نشاطها الى المدى الذي يتوخاه لها .

فالمحطة النموذجية ليست مجرد مبنى ومضخات ونفر من العمال ، وانما هي تلك التي تحرص على اسداء أفضل الخدمات لزبائنها وتيسر لهم أجدى التسهيلات . ولقد ثبت حقا أن الخدمة الممتازة هي أنجع الوسائل وأضمن الطرق لزيادة الأرباح واجتلاب عدد أكبر من الزبائن . فكلما حسّنت المحطة مستوى خدمتها ازداد ، ولا شك ، نشاطها واشتد الاقبال عليها وتعززت الثقة بينها وبين زبائنها .

وثمة خطوات جوهرية حري بأصحاب محطات الخدمة تبنيها ووضعها نصب أعينهم اذا ما رغبوا في تطوير محطاتهم لتغدو على غرار المحطات النموذجية الحديثة . ومن بين هذه الخطوت ما يلي :

الموقع والمظهر الحسن

ان للموقع المناسب والمظهر اللائق أثرهما الفعال في اجتذاب الزبائن الى المحطة وضمان ارتيادهم اليها . فالذي يعتزم اشادة محطة لخدمة السيارات ذات مستوى عال ، تُدر عليه الربح والفائدة ، عليه أن يدرس مكان الموقع دراسة وافية بحيث يتفق وحركة المرور ، أو أهمية الشارع المراد اقامة المحطة عليه . كما ينبغي أن تضم المحطة مرافق استراحة ودورات مياه ، وان تتسم أجزاؤها بالنظافة الصحية وان تراعى فيها أصول السلامة وقواعدها . فالمحطة النظيفة ، الجيدة الانارة ، والحسنة المعاملة ، تُغري أصحاب السيارات بالعودة اليها مرات ومرات .

الخدمة الممتازة

الترحيب بالزبائن فور وصولهم الى المحطة والبشّ في وجوههم يستأثران بجزء بارز من الخدمات المنوطة بمحطة خدمة السيارات . لذلك يجدر بعامل المحطة دائما أن يلقى الزبون منفرج الأسارير ، وينصرف الى ملء خزانه بالوقود ، ليقوم بعد ذلك بإلقاء نظرة تفقدية على أجزاء السيارة ، يستهلها بتنظيف الزجاج الأمامي

والخلفي ، ثم بقياس ضغط الهواء في الاطارات ، وبعد ذلك ينتقل الى الكشف على مستوى الزيت ومستوى الماء في جهاز التبريد « الراديتور » . كما يتفقد في الوقت نفسه البطارية وشمعات الاحتراق (البوجيات) ومنقي الهواء وسير المروحة . وعند تغيير زيت المحرك يتفقد مصفاة الزيت . فكل هذه الأمور مع تنبيه الزبون الى الأجزاء التالفة منها في حينها توفر عليه نفقات اصلاحات هو في غنى عنها ، كما تزيد في الوقت نفسه من حجم مبيعات المحطة من زيوت التشحيم وقطع الغيار .. فمثل هذه الخدمات تعمل على توطيد العلاقة بين المحطة والزبون وتساعد على اكتساب ثقته بها .

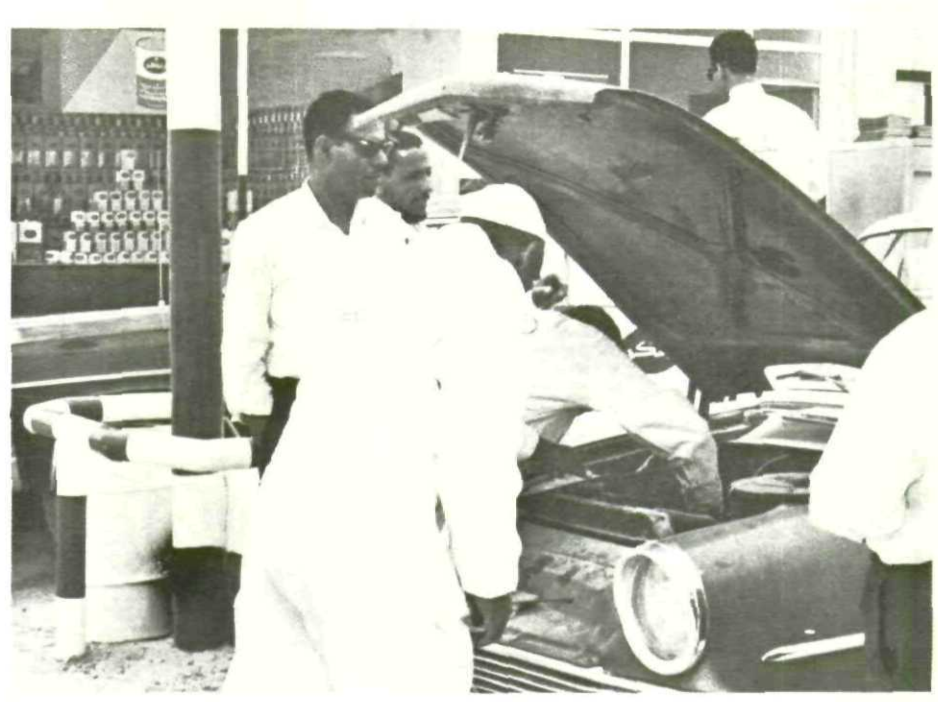
الكفاءة

كثير من أصحاب السيارات ، لسوء الحظ لا يدركون أهمية تغيير بعض قطع الغيار الضرورية في سياراتهم كمصفاة الزيت ، وسير المروحة ، وشمعات الاحتراق مثلا ، بأخرى جديدة . فعامل المحطة في تبيانه للزبون أهمية مثل هذه الأمور في سلامة سيارته يسدي له خدمة كبيرة ربما يجهلها الزبون نفسه . ومن هنا يتضح لنا أن نجاح المحطة يعول الى حد كبير على كفاءة العمال وخبراتهم الفنية في هذا المجال ، وحسن معاملتهم والمحافظة على نظافة هندامهم ، الى جانب احتوائها على المنتجات البترولية والاطارات والبطاريات وقطع الغيار ، وطريقة عرضها . فالخدمة والجودة والكفاءة والسلامة لهي عنوان المحطة الناجحة ورمز المحطة النموذجية ، وعماد تقدمها المطرد .

عوني أبو كشك



مسح الزجاج من الخدمات التي يترتب على رجال المحطة النموذجية القيام بها لاجتلاب الزبائن .



تفقد مستوى الزيت على عمود القياس من مقومات محطة الخدمة النموذجية .

هل معرفة النفس هي الطريق الى السعادة

بقلم الاستاذ حسين القباني

عندما ألقى الفيلسوف سقراط كلمته المشهورة « أعرف نفسك » كان يستهدف من ورائها معاني كثيرة تؤدي الى تحقيق أغراض كثيرة ، أهمها الوصول الى طريق السعادة في الحياة .

وليس من شك في أن هذا الهدف ، أي تحقيق السعادة للبشر في الحياة ، كان من أهم — وربما كان أهم — ما يشغل أذهان الفلاسفة والحكماء على مر العصور وعلى مختلف نزعاتهم ومذاهبهم .

ان جميع الدراسات الفلسفية ، وجميع الأسئلة التي عجز الفلاسفة عن الوصول الى اجابات مقنعة عليها ، وجميع علامات الاستفهام التي لا تزال تتردد في نفوس البشر كلما حاولوا الوصول الى بعض الحقائق عن هذا الوجود .. كل هذا انما يستهدف أولا وأخيرا الوصول الى الطريق الذي يحقق السعادة للناس في هذه الحياة .

وقد تحدثنا في مقال سابق عن الثقافة ودورها في التمهيد للوصول الى هذا الطريق . وفي هذا المقال نتحدث عن وسيلة أخرى من الوسائل التي يمكن القول انها واقعة في نطاق الثقافة بوجه عام . ونعني بهذه الوسيلة « المقدرة على معرفة النفس » . لأن هذه المقدرة لا تتوافر بصورة كاملة الا للانسان المثقف . وقبل أن نتناول الوسائل التي تؤدي الى معرفة الانسان لنفسه ، يحسن — أولا — أن نعرف شيئا عن القواعد التي تتحكم في سلوك الفرد ، وأهمها قاعدة تصور النفس الذاتي أو التصور الذاتي للنفس .

ان الفرد يميل بطبعه الى التمسك بأسلوب معيّن من السلوك نشأ وثبت في أعماق نفسه منذ الطفولة المبكرة . والفرد لا يخالف هذا الأسلوب في السلوك ، أو يتحوّل عنه ، الا تحت ضغط ظروف قاهرة أو تجارب حاسمة ، تحتم عليه اعادة النظر في منهج حياته كلها ليتخذ أسلوبا جديدا لسلوكه وتصرّفاته . وظروف الحياة على اختلاف أنواعها تقسم الناس الى قسمين :

القسم الأول ويشمل الأفراد الواقعيّين ، أي الذين يواجهون الحياة بأسلوب واقعي بعيد عن الأوهام وما هو في حكم الأوهـام . ان الفرد — في هذا القسم — اذا أرادأن يصنع مقعدا من الخشب مثلا، فانه يستعمل الأدوات اللازمة لصنع هذا المقعد ، مثل المنشار والازميل والشاكوش والمسامير الخ .

أما القسم الآخر فيشمل الأفراد الذاتيين ، أي الذين يعيشون في عالم مصنوع من أوهامهم دون أن يقيموا أي وزن لواقع الحياة أو آراء الغير . ان الفرد منهم اذا أراد أن يصنع مقعدا من الخشب مثلا ، لا يستخدم الأدوات اللازمة التي تعارف عليها غيره من الأفراد الواقعيين ، وانما يستخدم أدوات أخرى — من الورق — مثلا ، فيروح يضرب بها الخشب متوهما انه يستطيع بهذا أن يصنع المقعد في النهاية . واذا قيل له ان هذا مستحيل ، سخر من القائلين ، بل واعتبرهم أعداء له .

واننا نرى أمثلة لهؤلاء الأفراد في أولئك الذين يريدون أن يصبحوا — مثلا — أدباء أو شعراء دون أن يتزوّدوا بقليل أو كثير من الأدوات التي تؤهلهم لتحقيق أهدافهم . ان الواحد منهم يتوهم أن في مقدوره أن يغدو أديبا كبيرا لمجرد اجادته القراءة والكتابة أو لانه نال ذات يوم — في مرحلة الدراسة الأولية — درجة عالية في التعبير . وأفراد هذا القسم يصابون عادة بالانحرافات النفسية ، أو الاختلال العقلي في النهاية ، ما لم يغيّروا — في الوقت المناسب — من أسلوب سلوكهم في الحياة ، وما لم يعيدوا النظر في منهج حياتهم كلها من جديد .

واما أفراد القسم الأول — الواقعيين فانهم يختلفون الى حد كبير في عمق نظرتهم الواقعية الى الحياة وشمولها . ذلك لأن من العسير على معظم الناس أن يفهموا أوضاع الحياة بالعمق والشمول المرجو الا اذا تعلموا كيف ينظرون الى أنفسهم بعيون الآخرين . والنظرة الى النفس بعيون الغير لا تكاد تخطر ببال أحد ، الا اذا بلغ من الثقافة ورجاحة العقل والاستفادة من التجارب حدا كبيرا . ذلك لانك لا تستطيع أن تقنع الشخص العادي — مهما تكن واقعيته — بان يعترف بأن سلوكه في الحياة ليس كما ينبغي . وكذلك لا تستطيع أن تقنعه بأنه لا يعرف من حقيقة نفسه الا القليل جدا رغم انه يعيش مع هذه النفس طوال حياته . انه يقول لك على الفور : انني أعرف نفسي تماما . ومن البديهي انني أقدر على معرفة نفسي من غيري .

ومعظم الناس يقولون لك هذا . أما الحقيقة فهي أن معظمنا لا يعرفون من خفايا أنفسهم الا الشيء القليل . ان الفرد منا قد يعرف — مثلا — انه يحب الفروسية . أو انه يفضل اللون الأزرق على غيره من الألوان ، أو انه يؤثر طعاما معينا على غيره من صنوف الأطعمة ، ولكنه غالبا لا يعرف لماذا يحب الفروسية ، أو يفضل اللون الأزرق ، أو يؤثر فاكهة التفاح على البرتقال — مثلا — رغم ان معظم الناس يفضلون البرتقال على التفاح .

واذا سألته عـن السبب فـي هـذا ، فانه يعجز تماما عـن تقديم أي مبررات مقنعة . .

على ان هذا لا يمنع من القول بأن كل انسان يعرف شيئا ما عن نفسه في نطاق الصورة العامة لشخصيته ، الا انه قلما يعرف العوامل التي رسمت هذه الصورة ، وبالتالي فهو أقل معرفة بالعوامل التي رسمت شخصيات غيره ، وبالعلاقة بين هذه العوامل بعضها ببعض ، وهذا هو السبب في أن معظم الناس لا يعرفون كيف ينظرون الى أنفسهم بعيون الغير .

ولكي يستطيع الانسان ان يرى نفسه على حقيقتها ، أو لكي يعرفها حق المعرفة عليه أن يعرف القواعد العشر التالية عن تطوير الشخصية وانمائها :

١ — كل مخلوق بشري يمر بتجربة الشعور بالعجز والنقص في مرحلة الطفولة . فالانسان في طفولته المبكرة يعجز عن الكلام وعن المشي وعن طرد احساسه بالجوع ، ولكنه في الوقت نفسه يرى غيره من الكبار يقومون بهذا كله « بوسائل خفية عجيبة » ومن هنا يبدأ احساسه الخفي بالعجز والقصور . ويرجع السبب في هذا الى أن مدارك الطفل تسبق من ناحية النمو القدرة الحركية اللازمة لاشباع رغباته الضرورية . والمعروف أن اعتماد الطفل البشري على غيره أكثر جداً من اعتماد « أطفال » المخلوقات الأخرى على الغير . وبمعنى آخر يمكن القول ان الانسان في مرحلة الطفولة الأولى ربما يكونأشد عجزا من أي مخلوق آخر في مثل هذه المرحلة .

٢ — جميع المخلوقات البشرية تتّجه في نموها نحو الاكتمال والنضوج ، أي ان الخطوط الأولية التي تتكون منها شخصية الفرد في طفولته تأخذ في الوضوح والاكتمال والامتلاء بالظلال والألوان حتى يبلغ مرحلة النضوج . ويتكون هدف الوصول الى هذه المرحلة في أعماق النفس مثل القدرة على الكلام أو الادراك الكامل . ويقوم هذا الهدف عادة على أسس ثابتة وان كانت غامضة الى حد ما كأن يقول الانسان لنفسه « انني أريد أن أصبح مليونيرا » أو « زعيما كبيراً » أو « رحالة أطوف ببلاد العالم » . والباعث الأساسي على تكوين هذا الهدف هـو الرغبة الطبيعية في التحوّل من حالة تعتبر « سلبية » الى حالة تعتبر «ايجابية» . فالسلبية هنا هي العجز والقصور ، والايجابية هي النضوج والاكتمال . وبمجرد أن يتكون هذا الهـدف في اللاشعور يغـدو كالمغنطيس الذي يحوّل جميع ألوان الحركة والنشاط والتفكير نحوه مباشرة . ونحن نجد المثل الواضح في رغبة الأقزام مثلا لأن يكونوا عمالقة ، ولكن لم يحدث ان رأينا عملاقا يتمنى أن يكون قزما !

٣ — ومن الأهداف الرئيسية للانسان في الحياة الرغبة الكامنة للتعويض عما قد يصيب الانسان في طفولته من نقص أو عجز يستمر معه طوال حياته . وفي هذه الحالة يتركز الهدف الكامن في مرحلة الطفولة في محاولة الطفل التشبّه بشخص يعتبر في نظره مثلا للنضوج والاكتمال . فالطفل الأعرج يتمنى أن يصبح بطلا في سباق المسافات الطويلة ، والضعيف البنية يتمنى أن يغدو مصارعا أو ملاكما أو طيارا . والطفل الفقير يحلم بالقصور والضياع ، والطفلة الدميمة ترى مثلها الأعلى في ممثلات السينما ، والطفل القصير النظر يتمنى أن يصبح عالما فلكيا . ويرجع السبب في هـذا الى أن الطبيعـة تعوض باسراف حقيقي أو وهمي .

فالاسراف في التعويض الحقيقي يتمثل في الحيويات الطبيعية المضادة للجرثومة التي تدخل الجسم . ان الطبيعة عادة تطلق هذه الحيويات بسخاء لا يدع للجرثومة سبيلا للبقاء . ولولا هـذه الحقيقة المعروفة لقضت الجراثيم على بقية المخلوقات منذ أمد بعيد . والاسراف في التعويض الوهمي هو الخيال — أو الأمل — الذي يعيش عليه الانسان عندما يعجز عن تعويض نقصه الملازم لـه .

٤ — ليس في مقدور أي مخلوق بشري أن يفعل شيئا خارج اطار طبيعته البشرية . ويصدق هذا على كل شيء في الطبيعة . فالفيل لا يستطيع أن ينبت في جسمه أجنحة طائر . ولا يمكن لشجرة الموز أن تثمر تفاحا . أي ان الفيل لا يمكنه الا أن يبقى فيلا ، وكذلك ليس في وسع شجرة الموز الا أن تبقى شجرة موز سواء أثمرت أو لم تثمر . وهذا يؤدي بنا الى قاعدة التكامل في وحدة الشخصية — وهي من أهم القواعد في علم النفس .

ان كل شي يفعله المرء أو يفكر فيه أو يرغبه أو يخشاه أو يتجنبه أو يهفو اليه أو يحبه أو يكرهه . يتلاءم مع هذا التكامل في وحدة الشخصية . وهذا أيضا هو السبب الرئيسي في أن أحلامنا وذكريات طفولتنا ونجومنا المفضلة في الفن أو الأدب أو الرياضة ، وهواياتنا المحبوبة ، وطراز ملابسنا ، وطريقتنا في السير والحركة والكلام والمصافحة والكتابة وطعامنا المفضل . وأسلوبنا في اختيار الأصدقاء والأزواج أو الزوجات ، هذا كله لا بد أن يتلاءم مع التكامل في وحدة الشخصية . واننا لنرى الخبراء في علم النفس ، ورجال المباحث ، والفنانين ، والأدباء يستفيدون الى حد كبير من هذه القاعدة المهمة ، التي هي : تكامل الوحدة الشخصية للانسان .

فأنت اذا تأكدت من أربع أو خمس حقائق عن حياة شخص ما ، أمكنك بسهولة أن تستكمل بقية الصورة العامة لشخصيته . والأطباء النفسيون يستطيعون في معظم الأحيان أن يفطنوا الى طبيعة المرض النفسي قبل أن ينطق المريض بكلمة . وذلك بملاحظة حركاته وطريقة دخوله وجلوسه وما الى هذا ، وعلى الجملة فان فن دراسة النفس البشرية يعتمد الى حد كبير على القاعدة الآنفة الذكر . وهناك ما هو أبرز مما سبق سرده ، وهو ان هذه القاعدة تكشف حقيقة أي انسان حتى لو حاول الكذب . ذلك ان الانسان يكذب بلسانه فقط ، ولكنه لا يستطيع أن يكذب بايماءاته ونظراته وأحلامه أو خط يده مثلا . واذا تعارضت أقواله مع تصرّفاته اللاشعورية فان هذه التصرّفات هي الأصدق في رسم شخصيته .

٥ — ان هدف الحياة يتكون في مرحلة الطفولة ، ثم ينمو مع الزمن طبقا لقانون القصور الذاتي للنفس ، ما لم يتحوّل عن مجراه الطبيعي لأسباب قاهرة . ان خط الهدف قد يتذبذب قليلا مع مرور الزمن دون أن يتغير تماما في معظم الأحوال . فالطفل الذي يريد أن يصبح نجما في كرة القدم ، قد يغدو نجما في عالم المسرح أو السينما . ورغم الفارق بين الميدانين ، فان الهدف واحد .. وهو الشهرة . والصبي الذي يتمنى أن يصبح طبيبا ، لا يشقى في حياته اذا أصبح محاميا ، لأن الهدف الأساسي هو الوقوف بجانب « الضعفاء » وانقاذهم من محنتهم . والغلام الذي يحلم بأن يكون مروضا للوحوش في سيرك ، يسعده أن يغدو رئيس فرقة موسيقية أو ضابطا كبيرا لأن الهدف في جميع الحالات هي الرغبة في السيطرة والقيادة .

٦ — ان الناس يعيشون — ولا بد أن يعيشوا — في جماعات .

وهذا الاتجاه يقوم على أساس الرغبة اللاشعورية في التعويض عن ضعف الانسان بمفرده . وهذه الرغبة هي القاعدة الأساسية في علم النفس ، لأن كل هدف شخصي لا يضع في الاعتبار أهمية العلاقات الانسانية يصبح مخالفا لنواميس الطبيعة ولا بد أن ينتهي به الأمر الى الفشل .

فالانسان في طفولته يعيش معتمدا على أسرته . والأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ، ومعنى هذا انه يعتمد في هذه المرحلة المبكرة من حياته على هذه الخلية الاجتماعية حتى ينمو وينضج ويتحرر ، بطريقة طبيعية ، من الشعور بالعجز والقصور . فهو يحوّل « سلبية » الطفولة الى « ايجابية » عن طريق النمو البدني والنضوج الفكري ، ومن ثم عليه أن يتجاوب مع المجتمع الذي أتاح له هذه الفرصة للنمو والنضوج . والانسان السوي — أو الطبيعي — يحوّل هدفه الكامن منذ الطفولة نحو التكامل والنضوج الى خدمة المجتمع . وانه لمن واجب الآباء أن يربّوا أبناءهم على حب أفراد المجتمع في وطنهم من ناحية ، وأفراد المجتمع الانساني كله من ناحية أخرى . ولعل أهم ما ينبغي أن يعلمه الآباء لأبنائهم أن يفتحوا قلوبهم للناس جميعا ، وانّ يتحرروا من كل ما يدعو الى نشر الحقد والضغينة بين البشر ، أو ايغار صدر انسان على آخر ، أو طائفة على أخرى ، على أساس ان المحبة والتسامح من أهم العوامل لدفع المجتمع البشري نحو طريق السعادة . ومن الواجبات الأساسية على الآباء أن يعلموا أبناءهم أن « العمل » و « الانتاج » أقل ما ينبغي أن يقوم بهما الفرد لصالح المجتمع الذي رباه ورعاه وأتاح له فرصة النمو والنضوج .

٧ — كل انسان يضع تجاربه في خدمة أهدافه في الحياة . ذلك اننا نواجه خلال نمونا عقبات كثيرة لا تتفق مع طباعنا وأسلوب سلوكنا في الحياة . وبعض هذه العقبات تبعدنا تماما — أو الى حد ما — عن طريق أهدافنا . وبعضها نستطيع تحطيمه أو اجتيازه أو الدوران حوله . وما نسمّيه بالتجارب — أي نتائج مواجهتنا لهذه العقبات — ليس في الواقع الا الانطباعات التي تترسب في اللاشعور نتيجة التفاعل بين نفوسنا وبين العالم الذي نعيش فيه . ولكن معظمنا — للأسف — لا يستفيد من تجاربه لأننا في الغالب نتمسك بأسلوب معيّن في سلوكنا وتصرّفاتنا مع العالم الذي نعيش فيه . وهذا الأسلوب في السلوك والتصرّفات تحدده أهدافنا في الحياة ، وهذه الأهداف لا يمكن أن تقوم على أسس وهمية لأنها تتكون وتتبلور على مر الزمن من نظرتنا الواقعية الى نتائج كل تجربة . فنحن عادة ننظر الى الأشياء من زاوية صلاحيتها أو عدم صلاحيتها لتحقيق أهدافنا . فمثلا اذا مرّ ثلاثة رجال بقطعة أرض كبيرة خالية بمشارف احدى المدن .. ماذا يكون تفكير أو نظرة كل منهم اليها ؟ ان الأول — وهو اذا كان رجل أعمال — يراها صالحة لإقامة مصنع جديد ، ويراها الثاني ولنفرض انه تاجر ، صالحة لتكون مرعى للماشية . أما الثالث — وهو مزارع فيراها أصلح ما تكون لزراعة الخضر والفاكهة . وقطعة الأرض واحدة في كل الحالات ، ولكن فائدتها تختلف في نظر كل من الرجال الثلاثة باختلاف أهدافهم في الحياة .

٨ — هناك ثلاث مجموعات من المشكلات الأساسية التي ينبغي أن يجد لها الانسان ، كل انسان ، حلا في مجرى حياته . وهذه المشكلات هي : المجتمع ، والعمل ، والعلاقات العاطفية التي تنتهي أو لا تنتهي بالزواج . وهذه المشكلات التي لا تخلو منها حياة أي انسان ، لها تأثيرها الضخم على أفراد المجتمع كله . ففي كل مرة يفشل فيها أي انسان في حل احدى هذه المشكلات أو مواجهة الاعباء المترتبة عليها ، فانه يزيد في العبء الواقع على عواتق أفراد المجتمع كله .

أمـــا الذي يهرب من التجاوب مـــع المجتمع ، أو من حل المشكلات ومواجهة المسؤوليات المترتبة عليها ، فانه يحرم نفسه من أبسط العوامل الطبيعية التي يتصف بها الانسان السويّ . ذلك أن الذي يخشى مواجهة هذه الأعباء أو حل هذه المشكلات فانه يعيش عادة على هامش الحياة ، ملقيا بمسؤولياته على عاتق غيره . وهو في هذه الحالة يخدع نفسه ، ويخدع مجتمعه . ويغدو رمزا حيا للفرد الذي يجهل أبسط معاني الحياة .

٩ — ان الوسائل والأساليب التي يستخدمها الفرد لتحقيق أهدافه الكامنة في الحياة تتكون من شخصيته وصفاته الاخلاقية . والصفات الاخلاقية ليست أساسية في شخصيته . وانما هي في الواقع صفات مكتسبة تخضع لعوامل كثيرة أهمها البيئة والظروف المحيطة بالفرد . فاذا كانت هذه الصفات الاخلاقية من النوع الطيب — الذي تعارف على طيبته واصالته البشر منذ الأزل — فانها تجعل من المجتمع انسانا سويّا خاليا من الانحرافات والعاهات النفسية . فالانسان المتمتع بهذه الصفات الطيبة المتعارف عليها — رجلا كان أم امرأة — هو انسان شريف مخلص متفائل عطوف ودود واثق بنفسه كريم شجاع .. وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان هذه الصفات هي الشعاع المضيء الذي ينير للانسان طريق السعادة في الحياة . أما الانسان المنحرف أو المصاب بعاهة نفسية — كاللص مثلا — فهو انسان لم يتعلم قط كيف يتجاوب مع المجتمع .. بل انه يعتبر كل فرد في هذا المجتمع عدوا طبيعيا له . انه يؤمن بأن العالم ملزم باعالته وتحقيق نزواته بلا مقابل . وان الذين يمتلكون من أسباب الحياة أكثر مما يمتلك ، انما هم « لصوص يجب أن يعاملهم بالمثل ! ! » ولهذا يكتسب صفات اخلاقية أخرى تختلف تماما عن صفات الانسان السويّ . وهو لم يولد بهذه الصفات طبعا . وانما اكتسبها ونمت لديه ، لأنه وجدها أفضل الوسائل والأساليب لتحقيق هدفه في الحياة .. أي أن يكون لصا .

١٠ — وبناء على هذا كله نجد أن السعادة في الحياة هي النتيجة الحتمية لنجـــاح الانسان في سعيه الدائم لأن يكون انسانيا . ولأن يكون انسانا سويا خاليا من الانحرافات والعاهات النفسية . انسانا يعرف نفسه ، ويعرف العوامل التي تحدد أهدافه ، والسمات التي تساعده على تحقيق هذه الأهداف ، انسانا يعرف — على الجملة — الوسائل والأساليب التي توصله الى طريق السعادة في الحياة . ان السعادة ليست وليدة المصادفة ، وانما هي نتيجة حتمية للسعي المتواصل لتحويل عجز الطفولة الى قوة ونشاط وانتاج ، وتحويل الحالة السلبية الى حالة ايجابية وتحويل النزعات الفردية الى عمل من أجل المجموع . وأهم من هذا كله أن يصبح الانسان — بعد أن عرف نفسه أو الجانب الكبير من نفسه — انسانا كريما شجاعا ودودا عطوفا محبا للناس — كل الناس — ، متعففا عما في ايدي غيره ، متحررا من الحسد لمن هم أعلى منه مركزا ، ومن البغض لمن أتاحت لهم امكاناتهم ومواهبهم الوصول الى ما كان يتمنى أن يصل اليه . ان معرفة النفس لا تكتسب الا بالثقافة . ومن ثم فاننا نعود الى القول بأن الثقافة بمعناها الواسع — شمولا وعمقا — هي الضوء الحقيقي الذي ينير لنا الطريق نحو السعادة .



هل من جديد؟

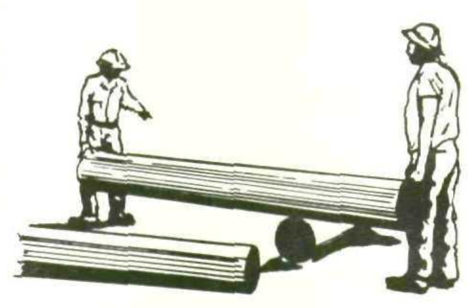
هوائي جديد (انتنا) للمسافات البعيدة

للهوائي أثر كبير في التقاط الاشـــارات اللاسلكية عبر المسافات النائية . ونظرا للفائدة التي يعود بهـا كان لا بـد من ابتكـار تصميمات حديثة تجعل منه أداة فعالة تسهم في خدمة المواصلات اللاسلكية . فمؤخرا توصل العلماء الى تصميم هوائي جديد من نوعه يمتد لدى نفخه الى ارتفاع أقصاه ٢٠ مترا . ويصفه المسؤولون بأنه ذو فائدة كبرى في حقل المواصلات اللاسلكية البعيدة المدى . وهذا الهوائي الجديد الذي قامت بانتاجه شركة أمريكية ، مصنوع من مادة لينة تكسوها طبقة من قماش اللدائن المقوى ، ولدى نفخه الى أقصى امتداده يستطيع التقاط الاشارات اللاسلكية دون التأثر بأي من العوائق أو المؤثرات الطبيعية كالأشجار الباسقة والمرتفعات ، التي تؤثر عادة في عمل الهوائي التقليدي القصير الامتداد .

ويتصل بهذا الهوائي جهاز لاسلكي نقال وذلك بواسطة سلك مشع متحد المحور ، يركّب في أعلى الهوائي . وهذا السلك يمكن تطويله وتقصيره وفق سرعة الذبذبات المرغوبة . ولدى الفراغ من استعمال واصلاح هذا الهوائي ، يلف في شكل حزمة لا يزيد حجمها على قدم مكعب ، بالاضافة الى منفاخ طوله قدم واحد ، وذراع يدوي ، وأدوات تثبيت واصلاح ، ويبلغ وزنه مع ملحقاته حوالي ١٢ كيلوغراما . أما المدة اللازمة لنفخه فهي حوالي ١٥ دقيقة .



أنابيب جديدة من البلاستيك تسهم في استصلاح التربة



من المشاكل الرئيسية التي يواجهها العالم اليوم في استصلاح الأراضي ، المياه الجوفية وارتفاع نسبة الاصلاح فيها . ولتذليل هذه المشكلة توصلت احدى الشركات الأمريكية مؤخرا الى انتاج نوع من الأنابيب مصنوع من اللدائن يساعد فـي استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي المقفرة غير المنتجة واحالتها الى حقول صالحة خصبة .

وقد تم تجريب هذا النوع من الأنابيب في تصريف المياه من جوف أرض تقع في وادي « سان جوكوين » بولاية كاليفورنيا ، فاثبتت فعالية في تحسين نوعية التربة وازالة جزء كبير من الأملاح المتراكمة .

ومن ميزات هذا النوع الجديد من الأنابيب انه أكثر فعالية من شبكات تصريف الميـاه التقليدية الخاصة بتجميع المياه الجوفية وتصريفها ، كما انه مقاوم لعوامـل التآكل في الماء والتربة . بالاضافة الى متانته وقوة احتماله .

لقاح لمكافحة حمى المفاصل

في كل يوم يحقق العلم انتصارات جديدة في الحقل الطبي . وفي نبأ ورد مؤخرا أن فريقا من علمـاء جامعة شيكاغو قد توصل الى انتاج لقاح لمكافحة حمّى المفاصل (الروماتيزم) التي يتعرض لها الصغار والكبار على السواء . ويقول الخبراء المختصون أن أهمية هذا اللقاح انه يحول دون تسبب التهـاب الكليتين وحمى المفاصل التي تؤدي بدورها الى إلحاق أضرار بالقلب .

وقد برهن هذا اللقاح الذي تم استخلاصه من جدران خلايا المكروبات ، فعاليته في تجارب أولية أجريت على الفئران والأرانب .

الحفر في القطب الشمالي

علم الآثار في عصرنا الحاضر يستأثر باهتمام كثير من العلماء الذين نذروا جل دراساتهـم وأبحاثهم لخدمة الانسانية ، وهم لا يدخرون وسعا في استنباط الأساليب الحديثة التي تمكنهم من بلوغ ضالتهم المنشودة . وقد ابتكرت حديثا آلة حفر شبيهة الى حد ما بتلك التي تستخدم في التنقيب عن البترول وقد جرى نقلها الى القطب الشمالي لاستخراج عينات من أغوار الطبقات الجليدية بغية تحليلها ودراستها . وتمتد هذه الطبقة الجليدية التي يجري التنقيب فيها الآن نحو ثلاثة كيلومترات . ويأمل العلمـاء أن يتمكنوا من الحصول على معلومات علميـة نافعة لها صلة بتاريخ الأرض ومعالم الحياة التي وجدت عليها سابقا .

الصفحة الضاحكة

أمه الملامة

المعلم : إذا كان في جيب أبيك الأيمن ١٥ قرشا وفي الأيسر ٤٥ قرشا ، فكم قرشا يصبح في جيبي أبيك ؟

التلميذ : إذا لم تكن أمي في البيت يصبح في جيبه ٦٠ قرشا .

خير إن شاء الله ..

الأول : ان أبي في المستشفى .

الثاني : خير ان شاء الله .. ماذا حدث لـه ؟!

الأول : لا شيء ، هو طبيب يعمل هناك .

كل يذكر ما ينقصه

مر رجل بأصلع وقصير وأعرج . وقال لهم : هل يمكنكم أن تذكروا لي أوصاف الرجل الذي مرّ من هنا قبل قليل ؟

فقال الأصلع : نعم ان شعره كثيف .

وقال القصير : انه طويل القامة .

وقال الأعرج : انه سريع المشي .

سبب وجيه

الأول : لماذا تقضم أظفارك كلما جئنا الى الغابة نصطاد الطيور .

الثاني : كي أبعد عنا الحيوانات المفترسة .

الأول : ولكن لا يوجد هنا حيوانات مفترسة .

الثاني : هذا لأنني أقضم أظفاري ؟

علاج العين ..

الأول : ما هو الدواء الناجح لعيني المريض ؟

الثاني : بالأمس آلمني ضرسي فلم أجد وسيلة تريحني من ألمه إلا قلعه .

الشمس والقمر

الأستاذ : أيهما أكثر فائدة ؟ الشمس أم القمر ؟

التلميذ : القمـــر .

الأستاذ : ولمـــاذا ؟

التلميذ : الشمس تطلع نهارا والدنيا كلها نور ، بينما يظهر القمر في الليل والظلام حالك فينير الأرض .

حتى المصافحة !؟

الأول : لماذا صافحته بيدك اليسرى .؟

القروي : لأنك حينما قدمته لي قلت انه انجليزي .



الاول : من هـــذا ؟!

الثاني : هذا مذيع الموجة الطويلة ..

لم يفقد الأمل ..

الأول : لي صديق ربح تذكرة سفر الى أستراليا .
الثاني : لقد مضى عليه هناك خمس سنوات يحاول أن يربح تذكرة أخرى ليرجع الى بلاده .

واحدة بواحدة ..

الأول : كيف الحذاء الذي أهديتك اياه ؟
الثاني : يذكرني بك كلما ألبسه .

كيف ؟!

القروي : لست أفهم كيف ذكر في شهادة ابني المدرسية أنه ضعيف في الرياضيات .
صديقه : ربما كان هذا صحيحا .
القروي : أبدا ، ان ابني دائما يتمرن على رفع الأثقال .

ذكاء !!

الأول : أين ولـدت ؟
الثاني : في أمريكا الجنوبية .
الأول : أي جـزء ؟
الثاني : طبعا كلي .



ما هذا يا استاذ ؟!
اني انشر قصائدي ..

تنظيم حركة المرور في الفضاء ..

العجوز والدنيا.. وانا!

بقلم الاستاذ عبد العال الحمامصي

لم نكن نعرف نحن الصغار من أين جاء « العم عبد الصبور » وحتى الكبار لا يعرفون . الا انه جاء ذات شتاء الى مدينتنا .. غريبا . يفترش من الصباح الى المساء ملاءته القديمة عارضا عليها بضاعته من الفواكه التالفة المعطوبة التي يجلبها من فضلات الكروم . ويظل النهار بطوله يتغنى بمواويل حزينة تشكو الزمان وغدر الدنيا بالرجال . ثم يدلف بالليل داخل « خرابة » مهجورة .. رفيقا للأشباح والحشرات ! !

كان العم عبد الصبور بفمه المجوف . وأسنانه السود المتآكلة . وشاربه الكث الأشيب . وشفته السفلى المتدلية في نتوء . كان ظاهرة مثيرة تحرض فينا نحن الصغار نزوات الطفولة .

كانت تغريني صلعته الجرداء فأرشقها بالأحجار الصغيرة . ثم أجري مغتبطا بقهقهات الصغار والكبار أيضا . فكثيرا ما أغراني بعضهم بمعاكسته ليجدوا في اهتياجه . وشتائمه . وهرولته المتعثرة خلفي . مصدرا لمسرات نزقة تخفف من رتابة حياتهم !

وكثيرا ما كان يمسك بي فلا يزيد على أن يعرك أذني لينتزع مني وعدا بأن لا أعود لمثلها ثم يفلتني . وبعد دقائق أتناسى وعدي . وأعود لمداعبته من جديد . ومع ذلك لم يشكني لأبي أبدا .. حتى أنني اعتقدت بأن تصرفاتي تلك ربما كانت تسره !!

وبمرور الأيام توطدت بيننا صداقة وثيقة .. فقد عرف كيف يستهويني بهداياه الصغيرة . ومواويله . وحكاياته الغريبة . فكنت أحافظ على بضاعته وأحميها من عبث الصغار عندما يذهب هو ليشتري حاجته من الكروم !!

وكثيرا ما كنت ألاحظ وميض كآبة عميقة تطل من نظرات صاحبي العجوز عندما تخطر أمامنا فتاة جميلة من عذارى الحي .. وهذا ما كان يجعل « عميرة » بائع القصب يؤكد لنا . ونحن نلتف حول فرشه في الأمسيات . بأن العجوز يطوي صدره على سر حب قديم . ربما يكون هو الذي قذف بحياته الى الضياع .

وما أكثر ما تاقت نفسي لمعرفة سر العجوز . ولكني كنت أحجم عن سؤاله خشية أن يراني متطفلا ينتهك أسراره . وعلى غير توقع ابتدرني فجأة ذات ليلة وهو يلفظ تنهيدة حارقة : « ايه .. حياة متعبة . » قالها وأطلت التعاسة من نظراته دون تعقيب مني .. وانطلق يحكي :

«منذ زمن بعيد كان العم عبد الصبور فتى حسن الطلعة . ممشوقا يرتاد الأسواق بأقمشته . وتتمناه كل فتاة في تلك القرية . ولكنه ظل عفيف القلب . نظيف الجسد . لم يتعلق فؤاده بأنثى غير « صابحة » ابنة عمه . وما كاد يهم بأن يضمها الى بيته . بعد أن زوج شقيقاته . وأصبح « جابر » الأخ الصغير رجلا في وجه الأيام . حتى اضطر الى السفر الى بلاد بعيدة جريا وراء لقمة العيش في أرض نائية لاتصلها بالعالم الخارجي صلة .

وعاد بعد مدة ليجد عصفوره في قفص صائد لم يكن غير شقيقه . لم تكن صابحة خائنة . ولا كان جابر نذلا ... ولكن اخبار عبد الصبور كانت قد انقطعت عن اهله فظنوه ميتا .

وكان لا بد أن يهرب من الذكرى . ومن نظرات صابحة الحزينة . ومن نفسه أيضا . « ليس لك في القرية عيش يا عبد الصبور » كان هذا قراره . وانطلق في الدنيا شريدا . يكسب ويخسر . تتخم النقود جيبه أحيانا . ويبيت على الطوى أياما . ثم احترف غناء المواويل .. وحط الرحال أخيرا في بلدتنا متعبا مكدودا .

وازدادت حياتي التصاقا بحياة العجوز . كان هو البساط السحري الذي طافت به طفولتي آفاق الحياة العريضة . وافتقدته في الشارع ذات صباح . فهرعت الى « خرابته » لأجده مريضا يسعل بشدة .. لم تكن نوبة طارئة فقد لاحظت في الأسابيع الأخيرة الأعياء الذي بدأ يغزو جسم صاحبي العجوز !!.

ابتدرته والألم يفتت قلبي : «عم عبد الصبور .. من حقك أن تريح نفسك من عناء السعي وراء لقمة العيش .

انتفض العجوز . وبرزت عروق رقبته نافرة متشنجة . ولكن غضبه سريعا ما هدأ . وأطلت بدلا منه نظرات عتاب : « يا ولدي » ! .. قالها مختنقة بغصة في حلقه ثم أردف : « طول عمري أقتات بعرق جبيني .. فاذا جاءت عبد الصبور ساعته فليكن هذا .. هنا فوق هذا الحصير » !!

ثم اشتد به المرض وأخذ يبصق دما . وعندما ناشدته أن يستجيب لرغبتي . وينتقل الى بيتنا . فلدينا قاعة خالية . ولتعتني به خالتي « غنيمة » . خادمتنا العجوز ريثما تعاوده العافية .. عارض في البداية . ثم وافق عندما وعدته بأن نأخذ منه أجر « القاعة » !! وبات عندنا بضع ليال ثم استدعاني ليقول لي وهو ينتزع الكلمات بصعوبة : « سأموت يا ولدي » .

نظرت اليه وانهمرت دموعي وامتدت يده تزيل دموعي وهو يقول : « ليشهد الله يا ولدي انني أحببت في دنياكم ثلاثة : أمي . وصابحة . وأنت يا ولدي » . وماتت في فمه كلمات حاول أن يقولها . فلبث يحدق فيّ بنظرات منطفئة .

وفي المساء أبلغتنا غنيمة بأن العجوز قد فاضت روحه . وجهزناه . ثم واريناه في مقبرة من مقابر الصدقة .. واليوم لا تزال ذكراه في قلبي . وترديد كلماته في أذني : « أحببت في دنياكم ثلاثة .. أمي . وصابحة . وأنت ... »







الحركة الأدبية في العالم العربي

* صدر لمعالي الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ «خواطر جريئة» ، وهي مجموعة مقالات قيمة هادفة سبق أن ظهرت على صفحات عدد من الصحف السعودية في مناسبات شتى . والكتاب مطبوع طباعة أنيقة على ورق صقيل .

* صدر للأستاذ رشاد سروجي كتاب «الشجرة ذات السياج الشوكي» جمع فيه المؤلف ما أمكنه جمعه من آثار الأديب الراحل الأستاذ محمد عمر عرب . وقدم للكتاب الأديب السعودي الكبير الأستاذ محمد حسن عواد .

* جمعت الكاتبة السعودية نجاة سليم خياط عددا من قصصها القصيرة في كتاب صدر مؤخرا بعنوان «مخاض الصمت» ، وهي قصص تجنح الى الأسلوب الرمزي المغلف الرشيق .

* صدرت للشاعر السعودي الأستاذ ماجد الحسيني طبعة جديدة أنيقة من ديوانه « حيرة » تضم مجموعة من قصائده الشعرية الرقيقة في اطار شعري فني .

* وضع الدكتور محمد النويهي دراسة كبيرة عن «الشعر الجاهلي» خرجت في جزئين ضخمين ، وقد استن فيها منهجا جديدا في دراسة هذا الشعر وتقويمه في ضوء المذاهب القديمة والجديدة في الأدبين العربي والغربي ، وفي ضوء الأحوال التي كانت سائدة يوم نظم الشعراء قصائدهم . ويعد هذا الكتاب بحق فتحا جديدا في الدراسات الأدبية ، واضافة ثمينة الى المكتبة العربية .

* صدر مؤخرا ديوان جديد لشاعر العراق الكبير حافظ جميل عنوانه «اللهب المقفى» ، وفيه صب الشاعر عاطفته ووجدانه وخياله في فرائد من رقيق الشعر وعذبه . وقد صدر الديوان بمقدمة للأستاذ السيد منير القاضي ، ودراسة شاملة بصيرة للدكتور بدوي طبانـة .

* صدرت أربعة أجزاء ضخمة من مجلة «اللسان العربي» التي يخرجها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في المغرب ويحررها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله . والمجلة في مجموعها تعد سفرا نفيسا يعالج مسائل اللغة والمصطلحات والتراث والترجمة ، وكلها بأقلام أعضاء مجامع اللغة العربية في الأمصار العربية .

وفي أدب التراجم ظهرت الكتب التالية ، «محمد كرد علي» للأستاذ جمال الدين الآلوسي ، و «عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف» للدكتور عادل البكري ، و «السيد جمال الدين الأفغاني» للأستاذ سعيد الأفغاني ، و «محمد توفيق البكري» للدكتور ماهر حسن فهمي ، و «الدكتور علي مصطفى مشرفة» لشقيقه الدكتور عطية مصطفى مشرفة ، و «الفنان أحمد صبري» للاستاذ محمد صدقي الجباخنجي .

* من الكتب التي تبحث في الأدب الروائي صدرت هذه الطائفة «أيوب» للأستاذ ميخائيل نعيمة ، و «شيء من الخوف» للأستاذ ثروت أباظة ، و «أنياب التنين» لأبتون سنكلير وترجمة الدكتور نظمي لوقا ومراجعة الدكتور سهير القلماوي ، و «بيت بلا أبواب» لاليزابث دالي وترجمة الأستاذ حسين القباني ، و «ليالي الغضب» لأرمان سلاكرو وترجمة الدكتور أنيس فهمي ، و «النخلة والجيران» للأستاذ غائب طعمة فرمان .

* من أثمن كتب المراجع في علم النفس التي صدرت مؤخرا كتاب «علم النفس التربوي» للأساتذة الأجلاء الدكتور محمد مظهر سعيد ومحمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر . وقد ظهرت طبعة رابعة من الجزء الأول لهذا الكتاب تميزت بالتوسع والاستيعاب .

* دراسات اسلامية جديدة طبعـت أخيرا منها «دفاع عن الشريعة» ، و «مقاصد الشريعة ومكارمها» للأستاذ عادل الفاسي ، و «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث» ، و «تاريخ القرآن» للدكتور عبد الصبور شاهين ، و «لماذا أنا مسلم ؟» للشيخ راغب العثماني ، وطبعة جديدة من «حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول» للدكتور شكري فيصل ، و «هجرة الرسول الى عرب الأنصار » للدكتور عبد الدايم أبو العطا البقري والأنصاري .

* من الدواوين الشعرية الحديثة التي ظهرت مؤخرا «تحت الرماد» للأستاذ فوزي عطوي ، و «لن تراني الضفاف» للشاعر مثنى العزاوي وقد جمع قصائده الأستاذان جليل العطية وحميد سعيد ، و «أحلام الزورق الغريق» للأستاذ عبد القادر حميدة ، و « ربيع » للشاعر مصطفى عبد الرحمن ، و «الى العيون الضاحكة» للأستاذ مازن النقيب .

* من الكتب العلمية التي صدرت حديثا هـذه المجموعة «العلم للمجتمع» للدكتور مصطفى عبد العزيز و «المبادىء الأساسية في الألكترونات» لبول زبار وسيد كراوت وترجمة الدكتور محمد أحمد قمر ومراجعة الدكتور عبد السميع مصطفى ، و «العناصر الكيماوية» لجيروم ماير وترجمة الدكتور أنور محمود عبد الواحد ، والجزء الثاني من «الكيمياء العضوية» لراي بروستر وترجمة الدكاترة عقيلة عبدالحميد ومنير جندي ووفية عسكر ووليم عوض وعبد القادر فطين وفوزي النويهي وعبد المحسن العبادي ومراجعة الدكتورين أحمد مصطفى أحمد وفوزي غالي بدار ، و «مقدمة في الفيزياء الذرية والنووية» لهنري سيمات وترجمة الدكتورين مصطفى كامل وسيد رمضان هدارة ومراجعة الدكتور محمود مختار .

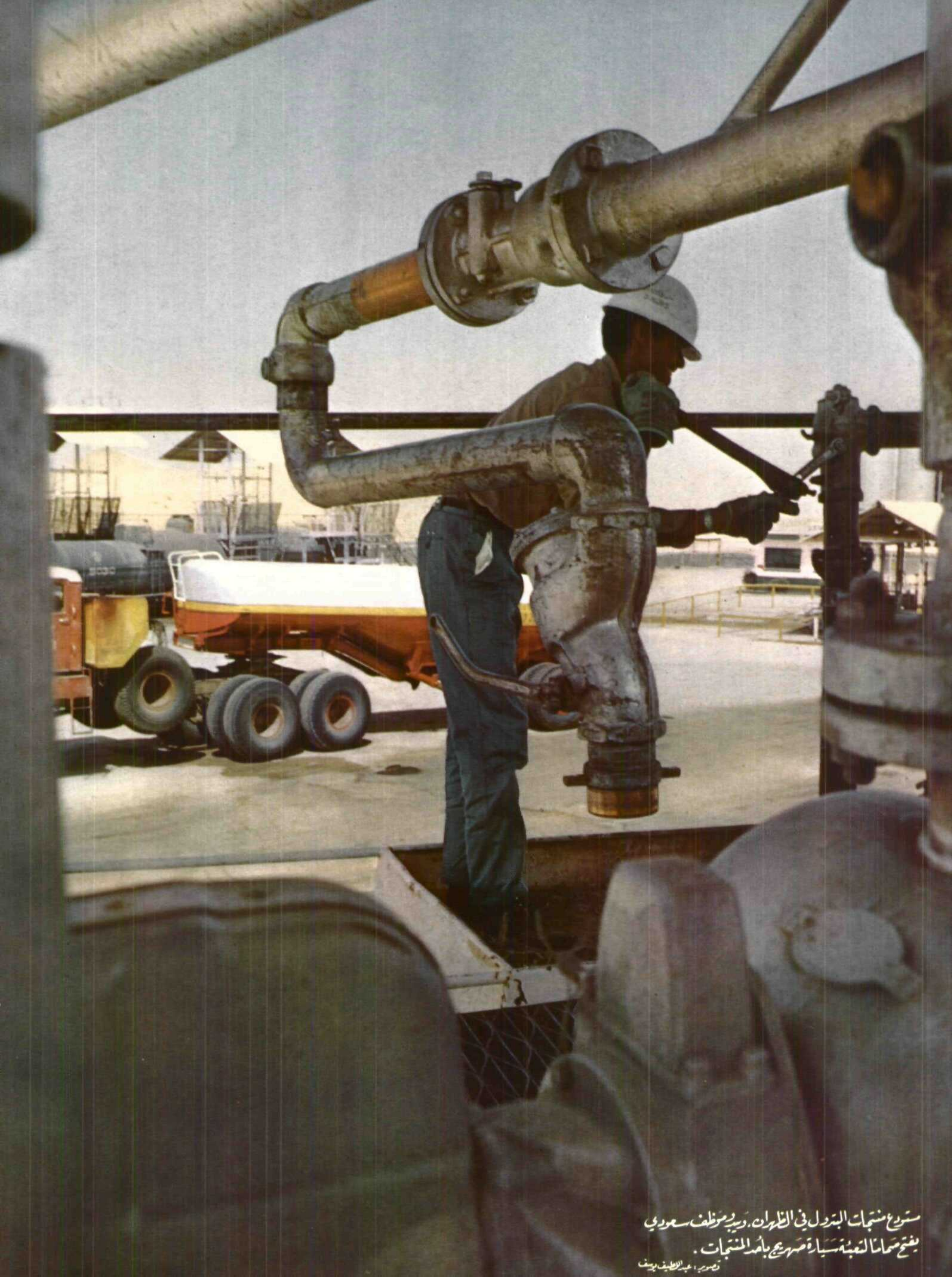
* ظهر مؤخرا كتابان عن الحضارة هما «الحضارة الاسلامية في عهد النهضة في الاسلام» لأدم ميتز وترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة في جزئين كبيرين ، و «الحضارة العربية» للدكتور شكري محمد عياد .

* جمع الأستاذان كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي مادة كتابهما «جمهرة المراجع البغدادية» وهو ثبت دقيق بأسماء الكتب والمخطوطات التي تتناول تاريخ بغداد .

* صدر حديثا للأستاذ حسين أحمد شيرازي كتيب طريف في تاريخ البريد والطوابع عنوانه «قصة البريد» .

* دراستان عن الطيور صدرتا في الأوان الأخير هما «طيور الوطن العربي» للدكتورين رؤوف سلامه موسى وصبحي كامل ، و « الطيور العراقية » للأستاذ بشير اللوس .

* من الدراسات النفسية التي صدرت أخيرا كتاب «الامام الشافعي» للأستاذ عبد الحليم الجندي يتناول فيه باستفاضة وعمق حياة هذا العالم وآراءه وآثاره وما تركه من تراث في الفكر الاسلامي .



مستودع منتجات البترول في الظهران. وبيد موظف سعودي يفتح صماماً لتعبئة سيارة صهريج بأحد المنتجات.

تصوير: عبد اللطيف يوسف